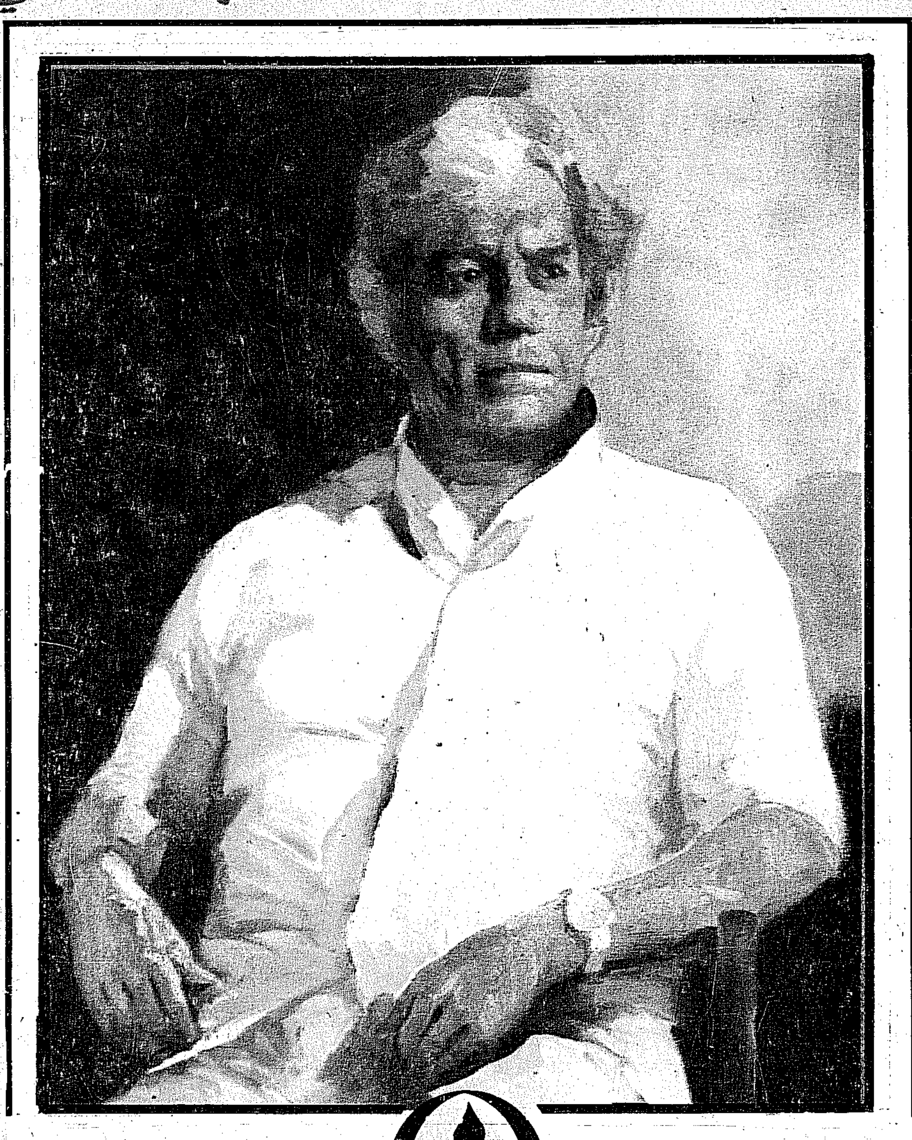
عبد الرزاق عبد الواحد

الاعمال الشعرية

المجلد الثاني



دار الشؤون الثقافية العامة

عبد الرزاق عبد الواحد

الاعمال الشعرية

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ٢٠٠٠



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة الشؤون الثقافية العامة
العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص.ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

عبد الرزاق عبد الواحد

جائزة صدام للآداب ١٩٨٧

الاعمال الشعرية

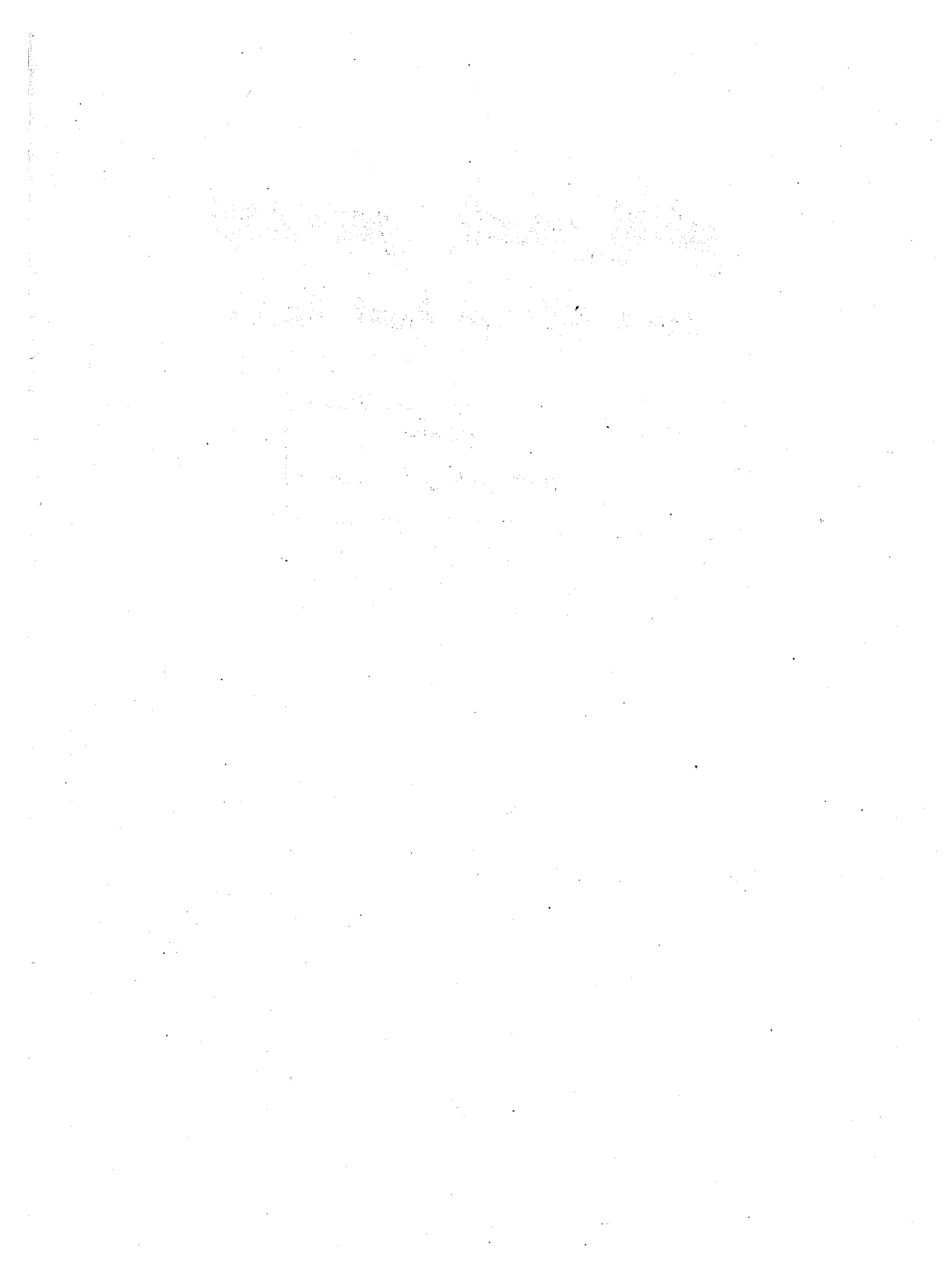
المجلد الثاني

الطبعة الثانية - بغداد - ٢٠٠٠

الحرّ الرياحي

مسرحية شعرية في ثلاثة فصول

تقديم
جبرا ابراهيم جبرا



جدلية المأساة في الحر الرياحي

ضمن المآسي الكبرى ، كمأساة الحسين ، تقع أنواع شتى من مآسي الإنسان : في جو القيظ ، والعطش ، والقسوة ، والقتل الجماعي ، وحز الرؤوس ، هناك مأساة الجنون البشري ، ومأساة الخيانة ، ومأساة القتل المجاني ـ وكذلك مأساة المروءة والفضيلة . نحن في عالم فقد العقل ، والضمير ، من ناحية ، وعالم ما زال يؤمن بعقل الإنسان وضميره ، من ناحية أخرى . من ناحية : إطاعة الأوامر ، العمى النفسي ، والحقد الشرس الماحق . ومن ناحية أخرى : المنطق ، كرامة الإنسان ، والتشبث بالحق . وفي مقابلة الخير بالشر ، يزداد حسُّنا بالفجيعة ، وباللاجدوى . كيف يمكن للحياة أن تكون هكذا ؟ الحسين وأهله ضحايا ، والآخرون جلادون . ولكن أليس من معنى آخر ينقذ هذه الحلكة القاتلة ، يستخرج منها بصيصاً من أمل في جدوى الإنسان ؟

الحسين أكبر من الحياة . ولعله ، لكبره وعلوه ، خارج الدائرة التي يمكن للمرء ضمنها ان يتوحد مع البطل ، رغم تطلعه اليه . ولذا يكون التعبير الفني عنه قاصراً عن مداه الفاعل . غير ان المأساة تغدو قابلة للتعبير فنياً ، عندما يكون فيها مَنْ يمكن أن نوحِّد أنفسنا معه . ومن هنا أهمية الحُـرّ . وكذلك أهمية الشمر . كلاهما يقع ضمن القياس الإنساني الذي نستطيع أن ندركه : نستشبهه أو نرتعب منه . الحُـرّ ، هنا ، إذ يضع نفسه بين ما يتطلبه الواقع والظرف المفروض عليه ، وبين ما يتطلبه الحس بالحق والتوحد مع ما هو إنساني ، هو في وضع مأساوي صرف . فهو مجابه بالخيار بين إنسانيته . وبين انسجامه مع ظرفه وواقعه . وهو يعلم انه باختياره إنسانيته

ووضع نفسه بجانب الضعيف يجابه الموت المحقق ، ومع ذلك يختار تحقيق إنسانيته بمعانقته الموت .

تحت إمرة الحُـرّ بن يزيد الرياحي ألف فارس يمنع بهم عودة الحسين وأهله الى المدينة ، بعد ان استجاب الحسين لدعوة أهل الكوفة الذين استقدموه الى العراق لمبايعته ، ويكرههم الحُـرّ بهؤلاء الفرسان على التقدم في اتجاه الكمين الذي سيُذبحون فيه . والحُـرّ في البدء غريب عن الصراع بين الحسين ويزيد ـ أو الحسين وعبيدالله بن زياد . ففي الإشارات القليلة التي لدينا عن هذا الفارس الفذ ، يبدو أشبه برجل مستقل يرفض أن يكون مذعناً أو تابعاً لأحد . وهو مسيحي ، لا تعنيه البيعة والخلافة . انه رجل وضع نفسه خارج الصراعات السياسية . وإذا تحرك ، ووجد نفسه في وضع تتناقض فيه الإدعاءات والإلتزامات ، فانه لن يناصر إلا ما يمليه عليه عقله انه الحق . انه أقرب الناس الى « الغريب » ، اللامنتمي ، الذي يستدرج الى قضية يكون فيها أول الأمر محايداً ، لا يهمه أيٌّ من الطرفين فيها ، ولن يقلقه مَنْ يكون الغانم فيها . ولكنه فارس ، بأجمل معاني الفروسية العربية . انه ، إذا اكتشف فجأة انه أُقحم في التزامٍ يناقض حسه بالعدالة رفض هذا الإلتزام : فهو لن يلتزم إلا حسَّه هو ، ضميره هو ، وسيرفع السيف حينئذٍ في وجه مَنْ يناقض هذا الحس وهذا الضمير .

ولذا ، فإن الحُـرّ حالما يدرك انه مطالَب من إنسانيته بالعدالة ، وذلك بمناصرة الحسين الذي أوكل إليه إسقاطه في الكمين ، يجمد لحظة في تلك المنطقة الزَّلِقَة الرهيبة بين ان يستمر فيما هو فيه ، وهو الأسهل ، وبين أن ينقلب على ما هو فيه ، وهو الأصعب . لحظة « الانقلاب » هذه هي اللحظة التي تعطي هذه المسرحية معانيها الأساسية :

انها لحظة الصمت :
فلتختصر كلماتُك أنفسَها ـ
تتراجع ؟
أم تقتل الآن

وهي اللحظة التي ستستمر عبر التساؤل والبحث في أعماق الذات وامتحان المروءة ، وهي التي ستنتهي الى حسم يقرر بطولة الرياحي ، ويقرر أيضاً مصرعه ، في آنٍ معاً .

على نقيض الحُـرّ الرياحي يجيء الشمر بن ذي الجوشن : انه يمثل تلك الناحية المظلمة من النفس التي يكون الشر وحده مبرر بقائها . وهي باقية ما دام ثمة نقاء يجب تدميره في هذه الأرض . هذه الحلكة المكثفة من نزعة بشرية تمتص نسغها من الشيطان الكامن في أعماق الإنسان ، يجب أن نراها هنا دون الاعتماد بالضرورة على الصورة التقليدية التي تفننت أجيال من البكاة على الحسين في تسويدها . وقد استطاع الشاعر أن يرفع شخصيته هذه الى مرتبة الشرير التراجيدي الذي نلقاه في الدراما الاليزابيثية مثلًا : انه ضرب من مكبث آخر ، لأن إقدامه على الجريمة الوحشية لا يخلو من طموح شخصي ، وهو في الوقت نفسه لا يخلو من خيال يقظ يبقي على حسه برعب ما اقترف . وهنا تكمن قيمتُه الإنسانية . لأن الشرير إذا كان شيطاناً صرفاً وحسب ، فانه يفقد أثره المأساوي في أنفسنا ، بالضبط كما يفقد الخيِّر الذي هو ملاك صرف أثره الدرامي فينا . فهو ليس مجرد أمثولة مسطحة : انه إنسان حقيقي يهدد الحياة كل يوم ، وينكفىء على ذاته ممزَّقاً بضميره ـ غير ان تدميره للقيم التي نعيش بها ومن أجلها متواصل مستمر ـ منذ الحسين الى يومنا هذا .

الشمر ، من ناحية ، لا يخاف ـ بالمعنى البشري المألوف ـ بالضبط كما كان مكبث لا يخاف ، وقد كانت جرأته يوماً مضرب المثل :

ضع قِبَلي الموتَ أفعى لها ألفُ رأس
أقاتلها الآن
جيشاً بعدِّ الحصى
أتقحّمـــه

ولكن واقع الأمر هو ان الخوف بالذات هو الذي ينهشه من الداخل ، ذلك الخوف العميق ، الخوف الضميري :

أن تقاتل شيئاً تراه
شيئاً تجرؤ يا مالك أن تضربه
أن ترهبه
لكن ،
أن تصبح تضحي ، تمسي
منهوياً
مأخوذاً
بعيون دون محاجر
أصواتٍ أغلقُ أذني فتصرخ
من داخل جمجمتي ...
وهذي الكفُّ
هذي الاصبع البيضاء يا مالك ...

الرعب النفسي ، الداخلي ، يتجسَّد في هلوسات لا يستطيع الخلاص منها . وهو ليس رعب الندم : انه العقاب الذي يحس بأنه ينزل به في ساعات يقظته ، وعليه أن يقتله كل يوم مجدداً ، لأنه كل يوم يتفجر حقداً على ذلك النقاء الذي لا يستطيع عليه صبراً :

قلت (للحسين) :
انك عبء من الطُّهر
تكْرهُك الأرضُ
إذ أنت تفضحها .
إنما محنتي بك أضعاف محنتك الآن بي :
أنا مَنْ شاء لي سوء حظي
أن أُبتلى بإزالة كل المروءة عن كاهل الأرض ...

وعليه أن يتذكر كل يوم خوفه وهو يجابه ضحيته التي لا يخاف إلاها ، ويشيح بوجهه ليضرب بالسيف ، لأن الخوف قد سكنه ولن يفارقه :

أشحت بوجهي عن وجهه
وبكلتا يديّ شددت على السيف .
كان خوفي يكبر ... يكبر
حتى غدا ضعف حجم توجعه ،
فتمكنت
أنهيتُ آلامه
واحتفظت بخوفي يكبر من يومها ،

ثم رافقني رأسه ،
رافقتني عيونُ الصغارِ وأصواتُهم
وشعورُ النساءِ وأصواتُهنَّ ،
الصراخُ العويل ...

ليس الشمر ، في هذه المسرحية ، مجرد قاتل أتت يداه جريمة من أبشع جرائم التاريخ ، وكان له أن يتوقع مَنْ سينتقم منه أو لا ينتقم ـ إنه في حدود الزمن المتاح له ذلك الطاغية الذي ، بعد ان أوغل في الجريمة ، لا يستطيع ذهنه الكف عنها ، وينتهي به طغيانه الى ذلك الجحيم الحقيقي الذي سيرى نفسه معذباً فيه أبداً وهو في هذه الأرض : جحيم الوحدة في حياته ـ حيث تتقطع أسباب الصلة بينه وبين الآخرين ، حيث يبقى الرعب في الداخل تجربة متجددة لا تنهيها الجريمة ، ولا يأخذ منها مرُّ الزمن . ومهما يكن محاطاً بالذين يزيّنون له مصارع الآخرين انتصاراً ، فانه ، سيبقى يردد :

تعالي إملأي وحدتي يا عيونَ الذين
تمرَّغتُ في دمهم
يا شخير حناجرهم
يا بكاء الصغار
ويا صرخات الثكالى
بدّدي وحشة الصمت حولي
فاني وحيد ، وحيد ، وحيد .

انه مهزوم في انتصاره ، كما كان الحُـرّ على النقيض بالضبط ، منتصراً بهزيمته .

لقد استخلص الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد من قضية تاريخية كبرى بعضاً من إشكالاتها النفسية الباقية في كل عصر : انه يرى المأساة في ان الضمير يحدو بالمرء الى ذرى من البطولة تلهب فينا جذوة الأمل في ان العدالة مهما تُنتهك سيكون لها مَنْ هو مستعد للتضحية بحياته من أجلها ، ولكن هذا الموت محتوم ولا مردَّ له ، إذ ان ثمة خوفاً ينهش قلوباً تدفع أصحابَها الى قتل العدالة نفسها كل يوم . هذه هي الجدلية التراجيدية في مسرحية « الحُـرّ الرياحي » ، وهي منسوجة نسجاً مع خيوط التجربة الإنسانية والحدث التاريخي .

ومن الطبيعي جداً ان قطع رأس الحسين يذكِّر الشاعر بقطع رأس يوحنا المعمدان . ويراه عبر جرائم التاريخ وتوالي الجلادين فيه ما زال يبحث عن رأسه بين البشر ـ ولكن الجثث مرمية في كل مكان . لأن الشمر قائم في كل مكان ، مصلت السيف ، مصرّاً على « إزالة كل المروءة عن كاهل الأرض » ، لئلا يدمّره خوفه . وإذا هو يتحطم ، ولكنه لا ينتهي . وفي خضمّ هذا الخوف العصابي المدمّر في عصرنا الراهن كما في العصور السالفة ، يقول المعمدان أخيراً لدليله :

أحياناً يا ولدي
أسأل نفسي :
ما جدوى أن تبحث عن رأسك يا يحيى ؟
كَل عامٍ يمرّ
يزيد يقيني بأني إذا عاد رأسي الى عنقي
فسأفقده بين يوم وليلة :

الدليل : مَنْ سيجرأ يا سيدي ؟
المعمدان : الزمان

الزمان سريع هنا يا بُنيّ
يومها
كل شيء هنا كان يأتي بطيئا
لكي يصل الموت يحتاج وقتا
لكي يصل الخوف ذروته حدَّ أن يستوي قاتلا
كان يحتاج وقتا
ولكن
تغيَّرت الآن كلُّ الأمور :
يأتي الفرح ويمضي في طرفة عين
يأتي الحزن ويمضي في طرفة عين
أما الخوف
فانه لحظةً يبتدي يكون قاتلا .

فما جدوى إستعادة المعمدان رأسه ، وضرب العنق الآن أسرع مما كان فيما مضى ؟ والفرح والحزن اللذان يتعلَّق المرءِ بالحياة من أجلهما ليسا الآن بأكثر من لحظة خاطفة .

هذا كله ، بالطبع ، جزء من جدلية المأساة نفسها ـ حيث المرء مجابَه بوضع بشري عليه أن يطلب فيه الفرح والحزن ولو لطرفة عين ، قبل ان تهوي المقصلة مرة أخرى . ولذا فان المعمدان يتساءل عن الجدوى ، ولكنه يستمر في البحث عن رأسه .والخوف ـ الذي هو هنا خوف الجلاد . لا خوف الضحية ـ احتمال قائم أبداً ، واصبعه دوماً على الزناد .

هذا الخوف الماحق يتخلله في هذه المسرحية حس طاغٍ أبدع الشاعر في ملء

الأجواء به : حس العطش . لقد منع الشمر وأصحابه الماء عنَ الحسين وأهله ـ وإذ فتك بهم وهم عطاش يطلبون الماء ، فقد قتلَ الماء . لقد قتل الفرات . (ومكبث ، إذ قتلَ الملك دنكن وهو نائم ، سمع صوتاً يصيح به : « مكبث قد قتل النوم ! مكبث لن ينام بعد اليوم ! ») .

فالشاعر يضعنا في موضع ذلك الشيخ الظمآن الذي جاء يطلب الماء عند الشمر ، فلما عرف بفعلته ، امتنعت شفتاه عن قبول الماء . اننا نحيا عقابيل الجريمة التي فرضت عطشاً أبدياً على كل ضمير .

يخيّل إليّ ان الشاعر في تصديه لشخصية الشمر ، بعد ان جعلتها أجيال من الحسينيات في العراق شيئاً أسود اكتنز بالحقد والقسوة والوحشية ، وتخيلتها هذه الأجيال وقد أُنزل بها في العالم الآخر أنواع مذهلة من العقاب الآلهي الفظيع والمهين ، لم يجد من السهل أن يستعيد الشمر ذلك الوجه « الإنساني » الذي لا بد منه إذا أراد له أن يحقق عملاً تراجيدياً يحمل معنى جدلياً لا يدفع المشاهد الى التأمل فحسب ، بل الى الرهبة والشفقة أيضاً . وكان للشاعر عندما استطاع تقديم الشمر في أربع صيغ متزامنة : فهناك الشمر الحقيقي ، وهناك هاجسه ، وهناك صوته ، وهناك أخيراً حضوره المعاصر . هذه الصيغ التي تتباعد وتتقارب ، تتناءى وتتحد ، لا يمكن أن توجد على المسرح إلا إذا تخيلناه مسرحاً مطلقاً ، لا مكان محدداً له إلا في الذهن . ومن هنا كانت المسرحية عملاً يكاد يستحيل تجسيده على خشبة . إنها مسرحية أصوات منذ البداية . حتى الحُـرّ الرياحي نجده في صيغتين اثنتين على الأقل ـ هو وصوته . والمعمدان ـ وهو الشخص الثالث المهمّ في المسرحية ـ صوت فقط ، لأن رأساً بلا جسم قد نتصوره « مجسَّداً » وناطقاً . ولكننا لا نستطيع إلا بأقصى الصعوبة أن نتصور جسماً هائماً بلا رأس . وهو ينطق . وقد

اقترن هذا كله بآنعدام الفعل : فنحن هنا إما قبل وقوع الحدث ، أو بعده . وما مِن مجابهة ، إلا بالتذكّر ، لأن المسرحية لا تستعيد الفعل التاريخي ، بل تنزع منه معناه ، فتكون المجابهة الوحيدة هي بين الحُـرّ وضميره ، بين الشمر وضميره . وهذه المجابهة هي النابض الحقيقي الذي تتحرك به المسرحية ، ويتوثب به شعرها .

لعل الطريقة الوحيدة لتمثيل هذا الضرب من المجابهة ، التي هي مجابهة أصوات وأخيلة ، هي الطريقة السينمائية ، حيث يمكن تقطيع الصور وتركيبها (مَـنْـتَـجَـتُـهـا) وتركيب الأصوات وخلق الأخيلة ، التي تتقدم وتتراجع ، تهدر وتستكين : فالمسرحية هنا هي سيناريو ، وإذا قرئت كذلك ، بانت تصاعداتها الدرامية وهي تتحقق في أعماق النفس بين طبقات الشخصية المتصارعة مع ذاتها ، فترفعها الى الرضا المطلق ، كما في الحُـرّ ، وتمزّقها لكي يعاد تمزيقها من جديد ، كما في الشمر .

وما يجعل هذا كله ممكناً هو اللغة المائجة ، الخافقة ، في شعر عبدالرزاق عبدالواحد ، وحركية الصور الراعبة التي تملأه . انه شاعر غضب وشفقة ، وكلمات أشخاصه تنبع كلها من هذا الحس المتوتر أبداً بالغضب والشفقة . وحتى التحدّي الأخير في نهاية المسرحية ، حيث يضع الشاعر نفسه على جانب المؤمن بانتصار الإنسان وهو يتحدّى الشمر « بقطع رؤوس النخل كلها في العراق » تملأه شفقة الشاعر التي يجعلها على لسان المعمدان ، وهو يلتقط رأساً له لكيما يصيح :

« أدركتَ يا يحيى إذن بداية الطوفان »

ونبقى ونحن في قبضة المأساة في تساؤل : هل سيكون ذلك طوفاناً لغسل آثام البشر ، أم طوفاناً لاهلاكهم على ما اقترفوه من آثام ؟

جبرا ابراهيم جبرا

شخصيات المسرحية

الحُـرّ بن يزيد الرياحي	قائد أموي
أبو حفص عمرو زياد	قادة في جيشه
حارث	ابن الحُـرّ
يوحنا المعمدان	
الدليل	دليل يوحنا
شمر بن ذي الجوشن	قاتل الحسين (ع)
سهيل مالك	من رجاله
هاجس الحُـرّ	
هاجس الشمر	
عمار حارث ياسر	من أنصار الحسين (ع)
عائشة	زوج ياسر

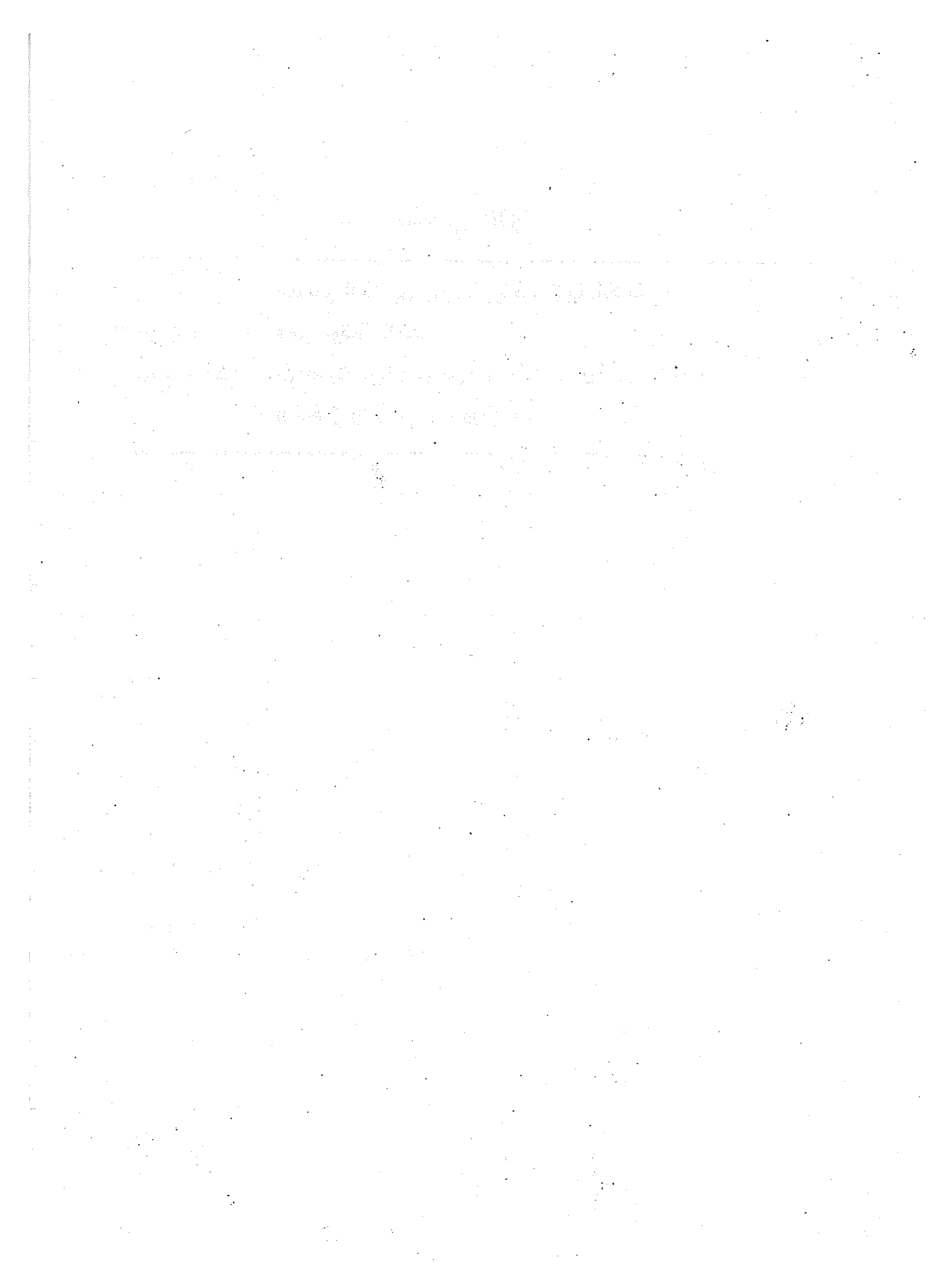
سليم	ابنه
رشيد	صاحب شرطة عبيدالله بن زياد
كورس أطفال	
كورس رجال	
جنود	
آخرون	

الفصل الأول

المكان : معسكر الحُرّ بن يزيد الرياحي قرب الكوفة

الزمان : فجر موقعة الطف

«يلاحظ هنا: ان صوت الهاجس يسمعه الحُـرّ الرياحي وحده »
« الحُـرّ وحيداً فيْ خيمته » .



الهاجس : إنَّها لحظةُ الصَّمت

فلتَخْتصِرْ كلماتُكَ أنفسَها

تَتراجعُ ؟

أن تقتلَ الآن ؟

أيُّ طريقَيكَ أوضَحْ ؟

عقربٌ تضرب الليلَ بين ضلوعكَ

مأكولةَ الظَهر

إنْ تنتشرْ

تفتقدْ خيلُك الآن حتى حوافرَها

السيوفْ

لا تفلسفُ في رَهَجِ الموتِ أفعالَها

« صهيل »

كِلْمةً لانتظار الرجال

تُحدِّدْ مواقعَها

« صهيل وجلبة »

الحُـرّ : ها هي الشمسُ تنهضُ

والناسُ تنهضُ

والكلماتُ القليلُة تنهضُ

تنهضُ أحرفُها كالعماليقِ عمياءَ مجنونةً

تتخبُّط بين حناياك

أيُّ الطريقين أوضَحْ ؟

الهاجس : كان لسيفك رأيٌ هو الحَدُّ

حَدٌّ هو الرأيُ

أصبح رأيكَ والسيف خدَّين

رطوبةُ أدناهُما تلمسُ الآن رأسَكَ يا حرُّ

الحُرّ : « لنفسه » وي ..!

لو انَّ هواجسَكَ الآنَ مسموعةٌ

(يدخل الربيئة)

الحُرّ : ماذا وراءكَ ؟

الربيئة : ابشِرْ

الحُرّ : (بفرح مفاجيء)

هل أفلتوا ؟

الربيئة : حاشا

وهل إفلاتهم بشارةٌ أزفُّها إليك ؟

الهاجس : البشارةُ الوحيده !

من أين للطاردِ أن يرى صراخَ اللّه

بين عينَيْ الطَّريده ..؟

الحُرّ أوجزْ إذنْ

الربيئة : رأيتُ مواقدَهم

الحُرّ : خمدَتْ ؟

الربيئة : ما يزال الرمادُ بها دافئاً

الحُرّ : وتَتَّبعتَهم

الربيئة : قد فعلتُ

الحُرّ فَصِفْهم

الربيئة : قليلٌ حوافرُهُم
قليلٌ مواطيءُ أقدامِهم
جُلُّهم صبيةٌ
خِلْتُهم موّهوا الدَّرب ..

الحُرّ : هل فعلوا ؟

الربيئة : لا ،
ولكنني أوهَمتْنيَ أقدامُ أطفالِهم
فرطَ ما تتشعَّبُ

الحُرّ : هم .. م ..

الربيئة : « وهو يضحك »
أمنوا الموت ،
فأنتشروا يلعبون

الحُرّ : « غاضباً »

أأوجزْتَ ؟

الربيئة : عفوَكَ أيُّها الأمير

الحُرّ : لا تزدْ.

أدركتَهم ؟

الربيئة : أجل

الحُرّ : أين هم الآن ؟

الربيئة : مسارَ فرسخَينِ في الطريق للكوفه

الحُرّ : قُلْ للرِجال يُسرجوا خيولهم

الربيئة : أمركَ أيُّها الأميرْ

« يخرج ويبقى الحُرّ وحيداً »

الحُرّ : « لنفسه ».

أمنوا الموتَ فآنتشروا ..

وأمنتُم ،

فَجلُّهُمو صبيةٌ

أصغرُ الجرحِ أكبرُ منهم !

وأمنتم .. فهم نَفَـرُ

يصرخُ الحقُّ بينهُمو صرخةً

ثمَّ يهوي على وجهِـهِ

الهاجس : ويْكَ يا حُرُّ

تأمرُ أن تُسرَجَ الخيلُ
صافَيتَ نفسَك ؟
ها أنتَ
لا سرجَ فوق حصانِكَ غيرُ الهواجس
لا نصلَ في غمدِ سيفِكَ .
غير الهواجس

الحُرّ : أعلَمُ أنّ لسيفي جواباً إذا سُئِل الآن
أعلمُ أنَّ حصانيَ يعرفُ كلَّ مهمَّتهِ
وأنا ..

الهاجس : أنتَ تخدعُ نفسَكَ يا حُـرُّ
تمتلكُ السيفَ
لكنَّ مقبضَـهُ في يدٍ لستَ صاحبَها !
ها أعنَّةُ ألفٍ من الخيلِ تُمسكها الآن كفُّك
تملكُ كلَّ مَهَبَّاتِها
وليس عنانُ حصانِكَ من بينها

(شعاع من ضوء الشمس يسقط على يد الحر وهو يذرو الرمل) .

الحُرّ : « مع نفسه »
إنَّها الشمسُ

ها كلُّ ذرَّةِ رملٍ تَميَّزُ عن أختِها
هل لظُلمةِ روحِكَ من كوكبٍ ؟
هل لهذا الخليطِ شعاعٌ يميِّزُهُ ؟؟
لو تَعِدُ المياهْ
فتَحتُ بالخنجر درباً نحو هذا العَطَشْ !
« منادياً »
مَسعده

الربيئة : « وهو داخل »
لبيكَ أيُّها الأمير

الحُرّ : قُلْ لأبي حفصٍ وعمروٍ وزيادٍ
يقدموا إليّ

الربيئة : أفعلُ الساعه
« يخرج »

الهاجس : ثمَّ ماذا ؟
جيشُكَ الآن استوى فوقَ ظهورِ الخيل
قُوَّادُكَ آتون
وما زالَ نزيفُ الليل
لم يَنبتْ ولا خيطُ ضياءٍ بين أضلاعِكَ
ما زالَ نزيفُ الليل

ما زالَ نزيفُ الليل

« القواد يدخلون »

أبو حفص : عِمْ صباحاً يا حُرّ

الحُرّ عمتُمْ صباحاً

اجلسوا

زياد : والرجالُ فوق ظهورِ الخيلِ ؟

الحُرّ لا بأس ..

فما بينكم والحسينْ

غيرَ أنْ تمضغَ الخيلُ أرسانَها مضغةً

« وهم يجلسون »

الهاجس : ها أنت ذا تهربُ من نفسكَ

ما جدوى الذي أخبرتَهم عن المدى بينهم

الساعةَ والحسين

ما دام المدى بينك أنت والحسينْ

لا تعرفُه ؟

الحُرّ : كيف تركتُم الرجال ؟

زياد : يكبَحون خيلَهم

لكنْ ترى الصهيلَ في عيونِهمْ

الحُرّ : وأنتمو ؟

عمرو : « ينهض مجرداً سيفه »

سلْ هذه السيوف

مَنْ أظمأ للدماءِ : نحنُ أم نصالُها ؟

الهاجس : أرأيتَ ؟..

لو انكَ تملكُ من نفسِكَ الآن ما يملكون

أكنتَ تردَّدت في أن تجرِّد سيفك ؟

الحُرّ : « وكأنه يخاطب أحداً »

لو كنْتُ أملكُ بيِّنةً

الهاجس : أيُّ بيِّنةٍ مثل ان يتشرَّخ في غمدهِ السَّيف ؟

الحُرّ : ثم يقولون :

أقعى الرياحيُّ يلعقُ قيحَ وساوِسه

أبو حفص : هل .. قلتَ شيئاً أيها الأمير ؟

الحُرّ : « منتبهاً الى وجوههم »

كنتُ أقولُ ...

الهاجس : قلْ لُعِنتَ

أنزِلْ كلَّهم من نفسِه منزَلكَ الساعةَ

من نفسِكَ
ثمَّ أنظرْ الى سيوفِهم مِن بَعد

الحُرّ : كنتُ أودُّ أن ..

الهاجس : تودُّ ماذا ؟
إنَّ كلَّ كلْمةَ تنطقُها في هذه اللحظةِ
سيفٌ
أنْ تجسَّ الوتَرَ اللَّينَ من نفسِكَ
مثل امرأةٍ تبكي ؟؟
تبيَّنْ قدراً تصنعُه أنتَ بهذا الخوف
كنْ سيدَهم وقلْ
أو عبدهم وعبدَ طغيانِكَ
واسكتْ

الحُرّ « غارقاً مع نفسه »
بل أقولُ

أبو حفص : إننا مصغون أيُها الأميرْ

الحُرّ : « منتبهاً اليهم مرة أخرى »

تعلمون لماذا دعوتُكم الآن ؟

أبو حفص : مِن أين نعلمُ

إنْ كان شيئاً سوى الأمرِ بالحرب ؟

الهاجس : من أين يعلم غيرُك
من أين يعلم ..؟

« القواد يطيلون النظر الى بعضهم »

أبو حفص : مذ أمسِ وشيءٌ ما يشغلُ بالكَ يا حُرّ
الحُرّ : أجلْ
زياد : مُـرْ ، أقطعْ عنقَ الصحراءِ الساعةَ
ما تنزفُ هاجسةً !
الحُرّ : مَـهْ ..
قد احتاجُ لسيفكَ في ضربٍ أقسى
عمرو : تمتحنُ اليومَ سيوفَك ..
أبوحفص : « مقاطعاً »
يا عمرو ..
عمرو : « مواصلًا »
فترضى
أبو حفص : يا عمرو اهدأ
ليخيَّل لي أنَّ سيوفَ الأرضِ جميعاً
تعجزُ أن تقطعَ ما يشغلُ بالَ أميرِكَ

عمرو : لكنْ ..

أبو حفص : لكنْ ماذا ..؟

إنَّ علينا أن نسمعَ

ثمَّ علينا الطاعه

الحُرّ : مهلًا أبا حفصٍ

لو انني أمرتُ أمراً الساعةَ

هل أنتم مخالفوه ؟

أبو حفص : حاشا

الحُرّ فأنا

لم أدعُكم لكي تُطيعوا

بل دعوتُكم

لكي تَروا معي

عمرو : فهاتِ ما عندكَ أيها الأمير

الحُرّ : يا عمرو

عمرو : لبيك

الحُرّ : لو انني خُضتُ بكم جيشاً من الجنِّ

يقاتلونكم

ولا ترونَ واحداً منهم

أخائضوهُ أنتمو ورائي ؟

عمرو : أنت تدري أننا نفعلُ

الحُرّ : أدري ...!

« يطيل النظر اليهم »

هَبوني حملتُ بسيفيَ هذا
ورمحيَ هذا
على صِبْيةٍ
يهرعون أمامي وينكفئون
فتحملهم أمَّهاتُهمو حاسراتٍ من الرُّعبِ
يركضْنَ في كل مُتَّجهٍ
ثم قلتُ : أغيروا عليهم معي ...
تفعلون ؟؟

زياد : أتفعلُه أنتَ يا حُرّ ؟

الهاجس تفعلُه أنتَ يا حُرّ ؟
تفعلُه أنتَ ؟؟

الحُرّ : جِدْ لي جوابَ سؤالِكَ هذا زياد
فمن أجلِ هذا دعوتُكم الآن

الهاجس : تكذبُ !
تكذبُ أنتَ
وجُبُنك ما زال سيِّدَ موقفِه
منذُ أمسِ

وأنتَ تقاتلُ نفسَك
ما كنتَ تعرفُ من أمرِ جيشِ الحسينِ
فتيلًا
أتصطنعُ العطفَ ،
تستُر من كبريائِكَ مذبوحةً
ثمَّ تُلْبِسُهُ للحسينْ ؟
إنَّه يتقبَّل سيفَك قدْر تقبُّلك الذلَّة الآن
إذ أنتَ تكذبُ
تكذبُ يا حُرّ
تكذبْ

زياد : أيأذنُ الأميرُ أن أسألَ ...؟
الحُرّ : مَنْ ...؟ ... زياد ؟؟
زياد : أجل .
الحُرّ : وهل وضعتُ بيننا حجاباً قبلْ ؟
زياد : كلا أيها الأمير
الحُرّ : ففيمَ تستأذنْ ؟؟

الهاجس : أمغالطةً نفسَك ؟
أم تسألُ كي تتبيَّنَ مقدارَ الشكِّ بأنفسِهم ؟
إنَّهم يتَّقونَكْ

يتّقون يدَ الخائفِ المتحفِّزةَ الآن فيك
ولو شعروا انها قبضةُ الواثِق المطمئنِّ
الى نفسِه الآن
ما استأذنوا
أنتَ تعلمُ أنَّ يدَ الخوفِ بطّاشةٌ
وتلحُّ ليزدادَ خوفُك
ها أوَّلُ الغيث
أصبحتَ تبصرُ في أيِّما كِلْمةٍ نطقوا
غمـزةً
فتضاعفُ جِملاق عينيكَ فيهم

أبو حفص : يا حُـرُّ ،
لقد كنَّا ندخلُ من نفسكَ باباً مشرعةً
لا يستأذنُ داخلُها
الحُرّ : والآن ؟
أبو حفص : الآن يُخيَّل لي أنَّ عليها أقفالًا
وعليها حَرساً

الهاجس : باسلٌ
لغةٌ ملكتْ صدقَها فآستقرَّتْ
تجرَّدْ وضوحاً كهذا

وقلْ كِلْمةً
تقف الشمسُ في مُستقرّ تُعيِّنُه أنتَ
لولا أضاءَتَ مسافةَ ما بين قلبِك والشفَتين ..

الحُرّ : يا أبا حفص
أبو حفص : لبَّيك
الحُرّ : لو خلعتْ نفسُ صاحبِكَ الآن
أقفالَها ؟
أبو حفص : عُنوةً ؟
الحُرّ : بل رضىً واختياراً
أبو حفص : دخلَ الناسُ
لا خوفَ منها
ولا خوفَ منهم عليها

الحُر : « ملتفتاً الى زياد »
فسَلْ إذن زياد
زياد : ما شئتُ ؟
أم الذي تشاءُ أنتَ تُسأل ؟
الحُر : بل ما شئتَ
زياد : هل أوجزُ ؟
الحُر : ما استطعتَ

زياد : « بشيء من التردد »

يا حُـرُّ

الحُر : قُـلْ

زياد : مع الحسين نحنُ أم عليه ؟

عمرو : « مباغَتاً »

زياد

الحُرّ : مهلًا عمرو

فلْنحتمِل الكيَّ

إذا استفحلَ فينا الدّاء

« الى زياد »

يا زياد

زياد : لبيك

الحُرّ : قبيلَ برهةٍ كنتَ مع الجيش

زياد : أجل

الحُرّ : تركتَهم يلتمعُ الصَّهيلُ في عيونِهم

زياد : حقٌّ

الحُرّ : فهم في عدَّةِ الحرْبِ إذنْ

« يلتفت الى عمرو »

وأنتَ يا عمرو بنَ عبدِالله

عمرو : لبّيكَ
الحُرّ : ترى نفسَك أظما للدماءٍ الآن من سيفِك
عمرو : بل زدتُ اليها عطشاً .
الحُرّ : جميعُ أُهْبةِ القتالِ فيك
« يلتفت الى أبي حفص »
يا أبا حفصٍ
أبو حفص : مُطيعاً كلَّ ما تأمرُ
الحُرّ : هذا عسكرٌ يمطر نصراً

« يتخذ بينهم هيأة الخطيب »

فنحنُ أمامَ عدوٍ أتى يُهلكُ الحرثَ والنَّسل
يُخرج من يدِنا أمرنا
يدَّعيه له ظالماً ..
زياد : « مقاطعاً » .
يُهلِك الحرثَ والنَّسل ؟
عمرو : لكنَّنا ما رَمينا الحسينَ بما قلتَهُ
الحُرّ :
« مواصلًا وكأنه لم يسمع اعتراضهم »

فتَن الناسَ

أَلَّبهم حولَهُ
صدَّقوا أنَّه آبنُ النبيِّ
وأنَّ على وجهِه صفحةً للرسالةِ ما قُرِئَتْ
فهو قارئُها
يدَّعي أنهُ جاء يحملها منقذاً ..
صدَّقوا أنهُ كلُّ ذلك ..

أبوحفص : « مقاطعاً »

لكنَّهُ كلُّ ذلك يا حُرّ

الحُرّ : ها ؟

أبو حفص : أَنَّهُ كلُّ ذلك

الحُرّ : أعلمُ

أبو حفص : تعلمُ ثم تقول الذي قلتَ فيه ؟؟

الحُرّ : تُريدونني ان أقودَ رجالي لقتلِ الحسين
سأفعلُ
لكنْ ..
لكي يقتلوه
فلا بدَّ أن يؤمنوا انَّ هذا الذي تَطأُ الخيلُ
جبهتَـهُ
الذي يجرأون عليه

فتنشبُ فيه الأسنَّـةُ
ليس الحسين
ولكنَّه رجلٌ
يدَّعي باطلًا
يخدعُ الناس
يُهلكهم في غدٍ
بل سأجعلهم يؤمنون بغربتِهِ عن محمَّدْ

أبو حفص : وتعلمُ انَّ جميعَ الذي قلتَه كذبٌ !
الحُرّ بعدَ ان نربحَ الحربَ
يُصبح لا صدقَ إلّاه !
أبو حفص : لكنَّه كذبٌ
إنَّه كذبٌ يتصبَّب سامعُه عَرقاً

الحُرّ : الويلُ لكم
قُبيلَ لحظةٍ بدتْ كَبيرةً كلُّ دعاواكُم
وها أنتم أولاءِ
لو أشرتُ نحو أيٍّ من سيوفِكم
بأنَّه الذي يبدأ
لأقشعرَّ في قرابِه
لم تقتلوا الحسينَ بعدُ

ثم ها أنتم تخافون مجرَّد اتّهامه
بأيِّ شيءٍ
أيُّكم يحمل وزرُه غداً ؟

زيادٌ : يحملُه الذين أوعزوا لنا بقتلِه
الحُرّ : وأنتم
زياد : جنودٌ تطيعُ أوامرَ قادتِها
الحُرّ : بل كلابٌ يصاد بها
أبو حفص : أنت يا حرُّ تشتُمنا دونَ حقٍّ
الحُرّ : ولكنَّني مثلكم
كلبُ صيدٍ سيلهثُ خلفَ الفريسةِ

يُنشبُ أنيابَهُ في مقاتِلها
ويعودُ بها كلبَ صيدٍ لسيدِه

« لحظة صمت »

عمرو : هل لنا أن نرى منبتَ السَّهمِ في رأيكَ الآن ؟
الحُرّ : لو كُنت أبصرُه
أبو حفص : إنما يومضُ البرقُ في الغيمةِ المدلهمَّةِ يا حُرّ
الحُرّ : فالتمسوه إذنْ
أمسكوا أيُّما اصبعٍ من أصابعه

ودعوني أرى جوفَ نفسي يضيء
لكُم أنْ أُفقىء عينيَّ بالضَّوءِ
لكنْ أرونيهِ

أبو حفص : يا حرُ
برقُك أمسكتَ أنتَ جميعَ أصابعِه

الحُرّ : هل فعلتُ ؟

أبو حفص : فعلتَ

الحُرّ : فدلَّني أنتَ أبا حفصٍ عليها

أبو حفص : آمناً ؟؟

الحُرّ وِيْ ....
كيف لا تنبتُ للسماءِ ألفُ مخلبٍ
تُغرز كلُّها بعينيَّ

عمرو : لماذا أيُّها الأميرْ ؟

الحُرّ : هَبوني سوى الشكِّ عيناً أراكم بها
قبضةً أتحسَّسُكم
تزرعونَ الظنونَ بكلِّ مسامات جلديْ
ثمَّ تخشونَها
كيف آمنُ في عطشي بينكم
وأنا كلَّما امتدَّ دلوي الى قاعِ آباركم
هربَ الماء؟

أبو خفص : هلَّا تفحَّصت دلوكَ يا حُرّ ؟

الحُرّ : « يطيل النظر إليه »
ماذا عنيتَ أبا حفص ؟
أبوحفص : ما كنتَ تحذرهُ
الحُرّ : فأبِنْ
أبو حفص : أنتَ ترسلُ دلواً الى الماءِ
تعلمُ من قبل إرسالها أنها ستعودُ
وما علقتْ قطرةٌ في جوانبها ..
إنَّ دلوكَ مخلوعةُ القاعِ يا حُرّ
الحُرّ : أنتَ تحاولُ أن ...
أبو حفص : « مقاطعاً »
أن أقولَ بأنَّكَ تعلمُ ذلكَ
بل تتقصَّدهُ
ثمَّ تشتُم آبارَنا

الحُرّ : يا نهارَ العواصفِ والرُّجمِ المستحيلةِ
أيُّ نبوءاتِكَ اليُطمأنُّ الى صدقِها الآن ؟
أبو حفص :
أقسمُ لو أني صيَّرتُ الصحراءَ بأجمعها ماءً
وطغى الموجُ فغطَّاكَ الى الأذنين
لأطبقْتَ شفاهَك في جوفِ اللُّجَّةِ
حتى تقضي عطشاً

الحُرّ : ويعد

أبو حفص : أن تقولَ :

لن نقاتلَ الحسين

ثم لا تضيف كِلْمةً

الحُرّ : « بعد ان يطرق لحظة »

وأنتَ يا عمِرو ؟

وأنتَ يا زياد ؟

زياد : في الذي قال أبو حفصٍ كفاءٌ أيُّها الأميرْ

الحُرّ : « مع نفسه »

أيُّ خصمُ بليتَ بهِ اليوم ؟

عُمرَك أسرجْتَ للريح كلَّ مهبّاتِها

كلُّ أرسانِها تتقاطعُ تحتكَ

ما انكفأتْ صهوةٌ أنتَ فارسُها

ثمَّ ها أنت ...

« الى عمرو »

يا عمرو

عمرو : لبّيك

الحُرّ : قلْ لي وأصدقنيَ القولَ يا عمرو

إنْ لم أكنْ خصماً لهذا الرجل الواقفِ في انتظاريَ

الساعةَ بين قبرِه وشفرةِ السيفِ الذي أحملهُ

فما أنا ؟

وأيُّ شيءٍ جاء بي إليه ؟

عمرو : حين يُطلقُ صقرٌ وراءَ فريستِه
أتراهُ يسائلُ صاحبَهُ فيمَ أطلقهُ خلفَها ؟

الحُرّ : فأنا مثلما قلتُ
كلبٌ يُصادُ به

عمرو : بل ..

الحُرّ : « مقاطعاً »
رويدَك يا عمرو
لو كنتُ صقراً لأنشبتُ منقاريَ الآنَ
في جؤجؤي غَضباً
أو لأنشبتُـهُ ..

أبو حفص : « مقاطعاً »
أينَ يا حُرُّ..؟

الحُرّ : في أيِّما صخرةٍ يتحطَّم من فوقها يا أبا حفص
في أيِّما صخرةٍ يتحطَّم من فوقها

أبو حفص : أنتَ يا حرُّ تملُك سيفَك

الحُرّ : أملكُه الآن حتى قرارتِـهِ
حدَّ أني أحسُّ بهِ يتقوَّسُ ضلعاً على القلب
« ينهض »
ملأتُم وعائي

فعودوا الى جندكم راشدينْ
وبيني وبينكُمُ لحظةٌ
أرِدُ الماءَ أو أتهيَّبهُ

زياد : طوعَ أمرك

« يخرجون .. ويبقىَ وحيداً »

الهاجس : هيهات
أنتَ المكابرُ لن تشربَ الماء يصَّدِّقون عليكَ بهِ
أنتَ تبحثُ عن مائِكَ الآن
لا شيءَ يصدَع لهذا الظما غير مائك

الحُرّ : لولا اهتديتُ لمنبعِه ..!

« يدخل عليه ابنه حارث »

حارث : أنعِمْ صباحاً يا أبي

الحُرّ : حارثُ ؟
ما أتى بك الساعةَ يا بُنيّ ؟

حارث : رؤيا أفزعْتني أيها الأميرْ

الحُرّ : يا مرحبا يا مرحبا !

أبطالُنا تُفزعُهم في غَبشِ الحرب الرؤى !

حارث : تعلمُ يا أبي بأني لستُ هيَّاب وغى
لكنني أسمعُ ما يدور حولي ... وأرى

الحُرّ : وماذا رأيت ؟
حارث : رأيتُكَ تُسلِمُ عينيكِ للريح
كفَّيك للريح
حتى لقد عقَدتْ ساعدَيك ببعضهما عَقدةً
تخلعُ اليدُ جارتَها لو هَممْتَ بها !.
الحُرّ : هم ... م ..
وماذا سمعت ؟
حارث : سمعتُ الذي أنتَ تسمعُ من نفسِكَ الآن
الحُرّ « يطرق »
حارث : يا أبتي ... إنني مشفقٌ
الحُرّ : ويْـكَ ..
تشفقُ أنتَ على مَنْ ؟
حارث : على امرأةٍ زارني طيفُها أمسِ يبكي
الحُرّ : عليكَ بكى ؟
حارث : بل علينا معاً يا أبي
الحُرّ : فهيَ أمّكَ

هل قال شيئاً لكَ الطَّيف ؟

حارث : كنتُ مستلقياً يقظاً بعدُ

حين سمعت نشيجاً توهَّمتُه الريح

أصغيتُ ..

كان الصَّدى يدَّني

يمكن أن أخطىء وجهي

لكنني لا أخطىء هذا الصوت

وسرَتْ بي قشعريرةٌ حينما انحسر الليلُ عنها

قطُّ لم أرَ في وجهِها هلعَاً كالذي لاحَ فيه

« خلال ذلك يلوح وجه الأم تدريجياً في أفق المسرح ، حتى يظهر جلياً »

الأم : أي ولدي

أي ولدي

أي ولدي

أعلمُ أني بعدَ هذا الليلِ لن أراك

ولن أرى أباك

أعلمُ أني سأكونُ أثكلَ الثَّواكلْ

وأفجعَ النساءِ يُتماً

وأقلَّهنَّ بارقاً

أذلَّهنَّ طارقاً
لكنَّني جئتُ إليكَ أحتمي من هَلعٍ
أكبر من فَجيعتي الموشِكه
أي ولدي
إنْ كان لا بدَّ لكلِّ الماءِ أن يَغيضْ
إن كان لا بدَّ لهذا الدمِ أن يَفيضْ
فلا تكونا أنتما السيفَ الذي يضربُهُ
ولا تكونا أنتما الرَّملَ الذي يشربُهُ
إني سمعتُ هاتفاً

الهاتف : « صوت مليء بالرهبة يُسمع من عمق المسرح وكأنه آتٍ من المجهول »

سيُقتَل الحسينْ
وسوفَ تبقى هذهِ العلامهْ
كلُّ السيوفِ الوالغاتِ في دمِهْ
كلُّ الرِّمالِ الشارباتِ من دمِهْ
قانيةً تبقى الى القيامهْ
قانيةً تبقى الى القيامهْ

« ينتهي الصوت ويختفي وجه الأم من المسرح »

حارث : وبعد ذاك يا أبي سمعتُهم يبكون

الحُرّ : مَنْ ويحكَ ؟

حارث : كلُّ الفقراءِ يا أبي

كلُّ اليتامى ..

كانت السماءْ

تنشقُّ عن عويلهم وينهمرُ البكاءْ

طولَ الليلْ

ينهمرُ البكاء

كورس اطفال : « صوت من خلف المسرح »

حسين

يا حسين

يا موثَقَ اليدَينْ

يا مطلَقَ اليدَيْنْ

بعْدَكَ سوفَ تُطفأُ الشموعْ

وتكثرُ الدموعْ

وكلُّنا نعرى

وكلُّنا نجوعْ

يا حسين

يا حسين

يا حسين

« المسيح يظهر مصلوباً في أفق المسرح »

صوت المسيح: لأنيَ فرَّقتُ في الناسِ لحمي
لأني حملتُ عذاباتِهم
لأني تَسميَّتُ بآسمي

« يختفي المسيح .. يظهر تشي جيفارا قتيلًا في أفق المسرح »

صوت جيفارا لأنَّ المسافةَ بين الرصاصةِ والقلبِ ضيّقةٌ
لأنَّ الذي يقطعُ الدَّربَ بين القتيلِ وقاتلِهِ
شاهدٌ وقتيلْ .
صرتُ في زمني الشاهدَ المستحيلْ

« يختفي جيفارا . يظهر المعمدان مقطوع الرأس في المسرح »

يوحنا : ملعونٌ مَنْ يُمسكُ للقاتلِ جذعَ المقتولْ
ملعونٌ مَنْ يخدعُ إنساناً عن عينيه
أو عن كفَّيه
ملعونٌ مَنْ يأمنُ ذئباً في مرعى
يا أولادَ الأفعى
ألفَي عامٍ أبحثُ عن رأسي بين الأكتافِ
وبين الأروُس .
كم جسداً مثلي يسعى ؟

طفل :　　يا يوحنا خُذْ مني شفةً
طفلة :　　يا يوحنا خُذْ مني عيناً
رجل مقطوع　يا يوحنا ..
الرأس :　　ارشدْ كتفيَّ الى رأسي
يوحنا :　　كم جسداً مثلي يسعى
　　　　　كم جسداً مثلي يسعى
كورس :　　« الصوت يُسمع من وراء المسرح »
　　　　　يا حسينْ
　　　　　يا حسينْ
　　　　　عهدُ علينا يا حسين　　يومَ الظما أن نتبعَكْ
　　　　　بينَ بينْ
　　　　　بينَ بينْ
　　　　　ويلٌ لمَنْ هم بينَ بينْ　　ليسوا عليك أو معك

صوت[1] :　　يا بلادَ الظما
　　　　　والشجيراتُ خلفَ الظما تستريحُ
　　　　　لم أعدْ سُلَّما
　　　　　حاصرتْني العيونُ بأوجاعها
　　　　　والزمانُ الجريحُ

(١) الأبيات للشاعر فوزي كريم .

الحُرّ : لا ، لن تكونَ سُلَّماً يا حُرُّ
لن تقطعَ رأسَ المعمدانِ مرةً أخرى
ولن تُعلّقَ المسيحْ

« منادياً »

يا مَسعَدهْ

« يدخل الربيئة »

الربيئة : لبَّيكَ

الحُرّ : أرشِدْني الى مَرابِض الحسينْ

«الى حارث »

وأنتَ يا حارثَ
أسرعْ لزياد وأبي حفصٍ وعمروٍ
يتبعوني

« لنفسه »

لم أعدْ سُلَّما
حاصرتْني العيونُ بأوجاعها
والزمانُ الجريحُ

والآن يا حسينْ
هامةُ هذي الشمسْ
أدنى الى سيفيَ من رأسِكْ !

« ستار »

الفصل الثاني

الوقت : مساء ، بعد شهر واحد من مقتل الحسين

المكان : بيت الشمر بن ذي الجوشن

الأشخاص : الشمر : مالك وسهيل : من رجاله

الهاجس : الصوت الداخلي للشمر .

الصوت : صوت الشمر في أحداث الطف .

ملاحظة :

المسرح جزءان :

- الحاضر : حيث الشمر وجماعته
- الماضي حيث صوت الشمر وجماعته وأحداث الطف .
- كل الأصوات ، وكل الأشباح ، يراها ويسمعها الشمر وحده .
- في الفصل صوتان : هاجس الشمر ، وصوته .

سنميز الصوتين عن بعضهما بتسيمة صوت الشمر « الصوت » ، والآخر « الهاجس »



الهاجس : لِماذا ؟
لماذا ؟
لماذا ؟
لماذا ؟

الصوت : كفٌّ بلونِ القار
فيها اصبعٌ بيضاء
لو كانت يدي لأفزعتْني

صوت طفل : عطشانْ ..

الصوت : « مواصلًا »

هذا الصَّفاءُ المطمئنُّ

هذي النظرةُ النبيَّةُ العينينْ

أكرهُها

صوت طويل : آه ...

أصوات اطفال : النار

النار

النار

صوت امرأة : واحسيناه

الشمر : « منتفضاً من شروده »

مَنْ التي تندبْ ؟

مالك : هل .. سمعتَ شيئاً ؟

سهيل : وَيْ ..

أسبوعُ وهذي الريحُ لا تهدأ

الشمر : « متلفتاً اليه بغضب »

كلُّكم صُمٌّ إذنْ

أرسلوا رجلًا يتحرّى

مالك : يا شمرُ ،

تدري أننا مُذْ قُتِلَ الـ . .

الشمر : « مقاطعاً بهياج »

مَنْ ؟؟

مالك : « مستدركاً »

مذ رجعتَ منذُ شهرٍ

وكما أمرتَ

أنفذْنا العيونَ بين كلِّ الناسْ

سهيل : أوصينا ألَّا تندبَ ثاكلةٌ

أو يعلو صوتُ بكاءٍ

أو ..

الشمر : « مقاطعاً »

يكفي

صوت طفل : عطشانْ ..

« بكاء طفل »

صوت طفل : عطشان يا حسين

عطشان يا حسين

صوت ١ : أسكِتْ هذا الصوت

صوت ٢ : سأسكتُهُ

ناولْني يا حنظلةُ الماءَ

لأغمسَ هذا السَّهمَ بهِ

صوت طفل : عطشان ..

صوت ٢ : لا تَعْجَلْ ،

هذا السهمُ المبتَلُّ سيملأ أحشاءكَ ماءً

والآن ،

هاكَ اشربْ

« صرخة طفل »

الهاجس : لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا لماذا ؟

الصوت : أئمَّهْ

جميعُهم أئمَّهْ

بعدَ غدٍ سيُثقلونَ الأرضَ بالتُّقوى

الهاجس : لكنَّهم أطفالْ

ما ذنبُهُم ؟

لصوت : ما ذنبُهُم ؟؟

أتراني أقطِّرُ هذي المرارةَ

أعصرُها من حناجرِهم

بَـطَـرَاً ؟

لا ،

وخَسِئْتُ إذا كنتُ أفعلها .

إنَّني بدماءِ حناجرِهم

سأكدِّرُ هذا البياضْ

أرغمُ هذي الاصبعَ المُريبهْ
أن ترتدي لونَ اليدِ التي عليها نبتَتْ
أجعلها سوداءَ حتى العظم
سوداءَ حتى العظم
سوداءَ حتى الـ...

« يختفي الصوت بينما تظهر في أفق المسرح كف سوداء سبابتها
بيضاء .. السبابة تشير الى الشمر »

الشمر : « ينتفض من مكانه مفزعاً ، ويتجه الى الكف »
ها أنت ذي
بيضاء حتى العظم
تخترقين البابَ والجدارْ
وتملأين الدارْ
تروّعينَ يقظتي
تروّعينَ نومي
ستنبتينَ بين عينيَّ الى القيامهْ
بيضاءَ حتى العظم

سهيل : « وهو يهم بالنهوض اليه »
يا شمر ..
مالك « يمسك بسهيل مقاطعاً »

دَعْهُ يا سهيلُ حتى تنجلي النَّوبَهْ

الشمر :

« وهو يحملق في الكف مرتعباً »

أفزُّ جميعي عيوناً
ولكنني مُكْرَهُ
لو انَّ اختفاءكِ مرتهنٌ بالعمى
لأنشبتُ هذي الأظافرَ في محجريَّ
الى ان يسيلَ بياضُهُما كلُّه في يدي
ولكنني مُكْرَهُ
مُكرَهُ
وأحملقُ فيكِ
مُكرَهُ
وألاحقُ لونَكِ
لا ..
إنَّهُ هوَ
حتى دمي فرَّ
لكنَّ لونَكِ ظلَّ يلاحقني
« وكأنه يخاطب أناساً يراهم »
كلُّ أصواتِكم
كلُّ آهاتِكم

كلُّ أعينكم تتجمَّعُ حولي
تحاصرني
أريني وجوهَكِ أيتُها الأعينُ اللستُ أبصرُ
إلا محاجرَها
أفأحملُ أوزاركم كلَّها
وأنا لستُ أعرفُ حتى ملامحَكم ؟
« وهو يلتفت في كل اتجاه »
مَنْ أنتما ؟
مَنْ أنتما ؟
مَنْ أنتَ ؟
أنتِ ؟
أنتَ
مَنْ ؟؟
قتلتُكم أنا جميعاً ؟؟
أم تطالبونني بواحدٍ منكم ؟
ألستُم تملكونَ غيرَ أن تُحملقوا فيَّ ؟؟
إذنْ فآنفجروا غيظاً
لقد قتلتُـهُ
قتلتُـهُ
قتلتُـهُ

مالك : « ينهض اليه ويمسك به »

يا شمر ..

الشمر : « مواصلاً »

قتلتُـهُ

قتلتُـهُ

مالك : « وهو ممسك به بعنف »

يا شمرُ اهدأ

أجُننتَ تطاردُ أشباحاً ؟

الشمر : أطاردُها ؟!

أنا محضُ فريستِها يا مالك

مالك : بل صانعُها يا شمرُ

ومُكسبُها حولًا لا تملكُه

ها نحنُ من حولك لا نرى ولا نسمعْ

الشمر : وهل رأيتَ أو سمعتَ أنت شيئاً قبلُ

يا مالكْ ؟

إن شئتَ أن تسمعَ يا مالكُ فٱبحثْ عن حسينٍ آخرٍ

واذْبحْـهُ

ثم انظرْ الى يديكْ

مالك : أنتَ الكائنْ ترتعدُ الخيلُ إذا صاحَ بها

تتصبَّبُ عَـرَقَاً من خوفكْ ؟

الشمر : يا مالكُ يا مالكُ يا مالكْ

تُعيِّر مثلي بالخوف ؟!
ضَـعْ قِبَلي الموتَ أفعىً لها ألفُ رأسٍ
أقاتلُها الآنْ
جيشاً بِعَـدِّ الحصى
أتقحَّـمُـهُ
أنْ تقاتلَ شيئاً تراهْ
شيئاً تجرؤ يا مالكُ أن تضربَـهُ
أن تُرهِـبَـهُ
لكنْ ،
أن تصبحَ تُضحي ، تُمسي
منهوباً
مأخوذاً بعيونٍ دون محاجِر
أصواتٍ أُغلقُ أذنيَّ فتصرخُ
مِن داخلِ جمجمتي
وهذي الكفُّ ،
هذي الاصبعُ البيضاءُ يا مالك

مالك : هَوناً .. هَوناً
لا تُسلِمْ نفسَكَ للوهمِ
فلستَ صغيراً .. يا شمرُ على أن تقطعَ
رأساً

الشمر : ولكنْ
أيّ رأسٍ !
أيّ رأسٍ !

مالك افرح من روعِك
افرح من روعك
« وهو يجذبه الى حيث كان يجلس »
تعالَ معي ،
إنَّ عندي حديثاً يغيِّر ما نحنُ فيه
الشمر : « وهما يجلسان »
أتعلَمُ ما قال لي حينَ ..
سهيل : « مقاطعاً »
دَعْ عنكَ هذا التَذَكُّر يا شمر
أبعِدْهُ عنكَ ولو لحظةً ريثما تتنفَّس

الشمر : لكنهُ حاضرٌ يا سهيل
إنهُ حاضرٌ
إنني وأنا أتحدَّثُ عنهُ لكم
أتشاغلُ عنهُ بهِ
أَفتفهَم هذا سهيل ؟
أتفهمُـهُ ؟

أنْ تتحدَّثَ عن موتِكَ حتى تألفَـهُ ؟!

أنْ توهمَ نفسَـكَ أنَّكَ لستَ وحيداً ؟

تُودعَ خوفَـكَ عندَ صديقٍ .. جارٍ

إنسانٍ تعرفُـهُ ؟

تَفهمُ معنى هذا ؟؟

سهيل : أفهمُـهُ

مالك : إنَّا أكثرُ مِن إنسانٍ تعرفُـهُ يا شمرُ

فأودِعْنا وتخَفَّـفْ

الشمر : تنفضُ الغيمةُ المدلهمَّـةُ أمطارَها

وأنا مثلما البِير

البراكينُ تُفرغُ أجوافَها ثم تهدأُ

وأنا مثلما البيرْ

كلَّما أخرجوا منهُ يزدادُ عمقاً

كلَّما أخرجوا منهُ يطفحُ بالماءْ

كلُّ شيءٍ سَـيَبردْ

وأنا تتناسلُ في جوفي النار

أزفرُها ثمَّ تنهض

أزفرُها ثم تنهض

أزفرُها ..

« طرق على الباب »

سهيل : مَنْ بالباب ؟

صوت من الخارج : شيخٌ يسألُ معروفاً

الشمر : أدخلْـهُ يا سهيل

أدخله يا سهيل

عَـجِّـلْ

سهيل : « ينهض متجهاً الى الباب ليفتحه »

الشمر : « مواصلًا »

شهرٌ ولا يقربُنا أحدْ

شهرٌ وهذي الباب لا تطرقُها إلَّا أكُـفُّ

الريح

« يدخل شيخ بادي الاعياء »

الشيخ : السلامُ عليكم

الحضور : وعليك السلام

مالك : استرحْ

« الشيخ يجلس »

مالك : حيَّاكَ الله

الشيخ : وحيًا هذي الدار وصاحبَها

الشمر : لو يسمعُ منكَ اللّهُ دعاءكَ هذا

الشيخ : « بشيء من الاستغراب »

إنَّ اللّهَ سميعٌ يا ولدي

الشمر : ومجيب ؟

الشيخ :

« باستغراب أشد »

ما كانتْ نفسُ السائِل مخلصةً

الشمر : « مع نفسه وهو مطرق »

ما كانتْ نفسُ السائِل مخلصةً

« منادياً »

يا وهب

يا وهب

وهب : « وهو يدخل »

لبيك

الشمر : أحضرِ الطعام

وأصلحوا للشيخِ موضعاً ينامُ فيه

الشيخ : لو شربَـةُ ماءٍ عافاكَ الله

إني عطشانْ

عطشانْ

« أصداء كلمة « عطشان » تتردد في جميع جوانب المسرح ، وتتضخم تدريجياً بينما وهب يخرج »

« الشمر يبدو مأخوذاً »

صوت طفل : عطشانْ

« بكاء طفل »

صوت طفل : عطشان يا حسين
عطشان يا حسين

صرخة طويلة : آه . . . .

الشمر : « مع نفسه »

أيُّ داعٍ أحرُّ وأوجعُ منكَ دعاءً ؟
أيُّ داعٍ به بعضُ ما بِكَ من حاجةٍ
لطمأنينةِ الروحْ ؟
تتمرَّغ مثلَ اللديغ يضجُّ بهِ السُّم
مثلَ اللديغ يضجُّ بهِ السُّم
يا حرقةً ليس تهدأ
يا هلعاً ينتهي ثمَّ يبدأ
ينتهي ثم يبدأ
ينتهي ...

سهيل : « مقاطعاً »

أتَق اللّهَ في نفسِكَ الآن
عندكَ ضيفٌ ، تشاغلْ بهِ

الشمر : كنتُ أحوجَ أن أتقي الله في هذه النفسِ
ساعتَها يا سهيل

كنتُ أحوجَ أن أتّقي اللّهَ ساعتَها
غيرَ أنيَ كابرتُ ..
لا ..
لم يكُ الكِبْر
أذكرُه
كنتُ أنضحُ بالخوف
حتى لقد كانَ في وسع خوفي أن
يذبحَ الأرضَ أجمعَها
« يلتفت الى مالك »
ويلٌ لك مِن خصمِكَ يا مالكُ حينَ
يُـجرِّؤُه الخوفْ !

مالك : لكنَّك كنتَ الأقوى

الشمر : هيهاتْ ..!
أنا أيضاً أُخِذتُ بهذا التَّوهُّم
كان ورائي ثلاثون ألفاً
أتحسبُني كنتُ أقوى من الجيشِ أجمعِـهِ ؟
كنتُ أشجعَ منهُ جميعاً ؟
كلُّهم أحجموا
وهو فردٌ يجودُ بأنفاسِهِ
وتقدَّمتُ ..

كنتُ ضحيَّتَهم
وضحيَّةَ خِسَّتِهم كلِّها .

الآن يا مالكُ أدري فيمَ تلدغُ العقربُ نفسَها
إذا ما حُوصِرَتْ !
كنتُ محاصرَاً بهم
كانوا جميعاً يندبونني لقتلِ خوفِهم

« يحضر وهب حاملًا جرة ماء وقدحاً ... يصب للشيخ ماء »

الشمر : « مواصلًا »
وحملْتُ مخاوفَهم كلَّها
كنتُ فرداً تحمَّل خوفَ ثلاثينَ ألفاً
وتحمَّل جُبنَ ثلاثين ألفاً
وبهذا قَتلت

الشيخ : « وهو يردُّ الماء مجفلًا »
أنت آبنُ ذي الجوشَنْ ؟

الشمر : « ملتفتاً اليه »
أجل ،
فهل أدخلَ شكلي الرَّوعَ في قلبِكْ ؟

الشيخ : كلا !

الشمر : إذن فيمَ ردَّدتَ الماءَ ؟

الشيخ : كان غيريَ أولى به

الشمر : فإذا فاتَ غيرَك ،

ترفـضُـهُ أنت ؟

الشيخ : لي أسوةٌ

الشمر : « بعد اطراقة قصيرة »

لو أحسنتَ إلينا والى نفسِكَ في هذا الماءْ

الشيخ : « متعجباً »

أأُصدِّقُ أنك تُلحِفُ كي تسقيَ عطشاناً ؟!

الشمر : اشربْ لِتُصدِّق

الشيخ : يا عجباً !

الشمر : ماذا على مثليَ أن يفعلْ ؟

أأحملُ الفراتَ فوقَ ظهري ؟

أطوفُ في الناسِ ،

أنادي :

أيُّها الناسُ اصنعَوا بالشمرِ معروفاً

فقد جاء وفوقَ ظهرِه الفراتْ ؟

الشيخ : أتكابرُ ؟

أم تتندَّرُ ؟

سهيل : ويلَك

الشمر : صَه يا سهيل

الشيخ : « مواصلًا »

وهَبْك فعلتَ الذي قلتَـهُ صادقاً ..

مَنْ سيقربُ ماءك ؟

إنَّها ريبةٌ في مروءةِ مائكَ يا شمر

ريبةٌ صار حتى الفراتُ بها موحِشاً

الشمر : أَوَ أفسدتُ حتى مروءةَ ماء الفرات ؟

الشيخ : أنت سوَّغت للناس أن يلعنوا الماء

سهيل : « بغضب » وَي ..

أصبحَ السكوتُ عنكَ غصَّةً

الشمر تسكتُ يا سهيل

أريد أن أسمعَ هذا الشيخ

شهرٌ وجسمي كلُّه يضجُّ بالورمْ

شهرٌ وجرحي تضمدونَـهُ على الصَّديدْ

أريدُ أن أسمعَ صوتاً واحداً يفتُح هذا

الجرحْ

ولْيكُ ما يكونُ يا سهيلُ

ولْيكُ ما يكونْ

الشيخ : لا تَلُمْ صاحبيكْ
فهما أكثرُ الناسِ علماً بما أنتَ فيه
وأما أنا فلستُ بمُغنيكَ شيئاً

الشمر : أنتَ تُسمعُني صوتَ نفسي
الشيخ : فنفسُك تُغنيك
« وهو ينهض »
معذرةً
أتّقي اللّهَ فيكَ وفي نفسيَ الآنْ

الشمر : يا هذا
بِتْ ليلَك لا تطعمْ إنْ شئتَ ولا تشربْ
شيئاً
الشيخ : أَطعمُ إنْ بتُّ هنا ندماً يا شمرْ
فأعتِقْني من إحسانِكَ هذا
أنا لم أرَ وجهَ قتيلِك
لكنّي أحسْستُ الساعةَ اني أُبصرُه
« يخطو نحو الباب »

الشمر : وكيف إحساسُك يا شيخُ به ؟

الشيخ : « يتوقف ويلتفت اليهم »

كأنّني ممتلىءُ بالماءْ
كأنّني ممتلىءُ بالماء

« يرين وجوم على الحضور . الشيخ يبلغ
الباب ثم يلتفت »

الشيخ : تعلمُ ماذا حلَّ بالفراتِ يآبنَ ذي الجوشنْ ؟

مالك : « متهكماً »
هل جفَّ ؟

الشيخ : لا .
لكنّني سمعتُ أنَّ صائحاً ينهضُ من مياهِـهِ
في الليلْ

الشمر : منذُ متى ؟

الشيخ : مُـذْ قُتِلِ الحسينْ
وهو ينادي كلَّ ليلةٍ بهذا الصَّوتْ :
« يسمع صوت تلاطم أمواج »

صوت : يا أيُّها النيامْ
هذا أنا الفراتْ
مَفازةُ العَطشْ
رواسبي دماءْ

ورغوَتي دماءْ
وأنتَ كلُّ الماءْ

« صوت تلاطم أمواج »

واصغَري لديكَ يا حسينْ
واعطشي اليكَ يا حسينْ
كلُّ مياهي لا تُندِّي شفةً ظمأى
وسوف تسقي بكَ آلاف من السنين
عطشاها
فآجعلْ لمائي حصَّةً في مائكَ القادمْ
اجعلْ لمائي حصةً في مائكَ القادمْ
لعلَّني أبرأُ يا حسينْ
لعلَّني أبرأُ يا حسينْ

« ينقطع الصوت ويكون الشيخ قد اختفى . . يبقى صوت تلاطم الأمواج الذي يهدأ تدريجياً حتى يتلاشى »

الشمر : «مذهولًا »
هل ذهب الشيخ ؟
سهيل : أجلْ
الشمر : كأنَّما جاءَ به الليلُ نذيراً عاجلًا وابتَلَعَهْ

« يطرق .. ثم ، وكأنه يحدِّث نفسه »

سوف يجيء ماؤهُ القادمْ
ليُبْرِئَ الفراتْ

.

مالك : تُسرفُ حتى في تأويلِ كلامٍ ليس لهُ معنى
الشمر : ليس له معنى يا مالكْ ؟
مالك : ستُرينا الأيامْ
الشمر : أَوَ أكثرَ مما أرتْنا ؟
صرتُ أشحذُ حتى الشَّتيمةَ
حتى الشتيمة أشحذُها
مالك : لا أصدِّقُ أُذْنيَّ
مَنْ كان يجرؤ ان يتكلَّمَ حين تكونُ مهيضاً
أنتَ جرَّأتَ حتى الصعاليك أمثال هذا عليك
الشمر : أتسمِّي هذا صعلوكاً يا مالكْ ؟
أنتَ لم تَشهد الحُـرَّ حين انبرى وحدَهُ
ليقاتلَنا
« مشهد جانبي تسمع خلاله أصوات المعركة »
« الحُرّ ، أبو حفص ، آخرون »

أبو حفص : أما كفاكَ أنَّكَ اعتزلتَها يا حُرّ ؟
أنتَ ما أرقتَ للحسين أو لصحبِه دماً
فما الذي تُنكرُ مِن نفسِكْ ؟

الحُـرّ :
أتجَهَـدُ في ان تُـبَرِّأني يا أبا حفص ؟
مَنْ قادَهُ للهلاكِ إذنْ ؟
مَنْ أصرَّ على منعِهِ ان يعودَ الى أهلِـهِ
في المدينه ؟
أوَلستُ أنا ؟؟
مَنْ حالَ بينَـهُ وبين الناس في الكوفه ؟
مَنْ الذي أسلَـمَـهُ لهؤلاء ؟؟
بَـرِّئْني أبا حفصٍ إذا استطعتْ

أبو حفص : كان سيُقتَلُ في كلِّ الأحوالْ
الحُرّ : حتى ولو قوتِلَ دونَـهُ بألفِ سيفْ ؟
أبو حفص : ماذا تعني يا حُـرّ ؟
الحُرّ : فاتَ الأوانُ يا أبا حفصٍ
تأخرنا كثيراً
لم أعُدْصاحبَ هذه السيوفِ الألفْ
كنتُ بها أملكُ أن أسحبَ أيَّ غيمةٍ أشاءُ

من شَغْفَتها
أُنزلها للأرضِ قَسراً
وأقولُ : أمطري !
كنتُ بها أملكُ أن أقصمَ ظهرَ الريح
أو تجري كما أريد
لكنَّني أحجَمْتُ ساعتين !
تَعلمُ ما معيارُ ساعتينْ ؟!

« يناول أبا حفص درعه »

خُذْ درعي إليكَ لا أريدُها

أبو حفص : يا حُرّ

الحُرّ : « الى قومه »

أنتم جميعاً أبرياءُ من دمي

« يلتفت الى الآخرين »

وأنتم أيُّها الـ ...
كيف أنعَتُكم ؟
أيُّ مفرَدَةٍ سألوِّثُها بكم الآن
تبقى ملوَّثةً للقيامهْ
لا سقى اللّهُ عطشانكم

فيمَ بايَعتُموه ؟
فيمَ أرسلتُم الرُسْلَ تدعونَـهُ
ثمَّ أعطَشتُموه ؟
ثم أسلَمتُموه وأطفالَـهُ للأسنَّه ؟

صوت من
عسكر الشمر : أنادماً يا حُرّ ؟
صوت آخر : أنتَ الذي أسلمَهُ
ونِعْمَ ما فَعلتْ

الحُرّ : أمّا نَـدَمي
فلأنّي كنتُ صباحاً أعطَش خلق اللّهِ
وأبصرتُ الماءَ فلم أشربْ
ولأني كنتُ صباحاً أملكُ كلَّ نَواصيكم
لو كنتُ غضبتُ ،
ولكنّي استسلمتُ الى الحزنِ ولم
أغضبْ
يا أولادَ العقربْ
يوماً ما ينجابُ الليلْ
ويجيء السَّيلْ
ستحاسبكم حتى أطرافُ أصابِـعِكُم

وسيلعنُ آخركُم أوَّلكَم
ستقولون خُدِعنا
وتقولونَ جَزعنا
وتقولونَ تقولون
ولكن جرّأتم أنفسكُم حتى أطفأتم
ضوءاً من أضواء الله
الويلُ لكم
كنتُ عدواً وتهيَّيتُ إراقةَ هذا الدَّمْ

صوت

من العسكر : والآن غدوتَ صديقاً ؟!

« ضحك »

آخر : يا قوم
الحُرُّ فاءَ تائباً للحسينْ

الحر : بل إنَّـهُ لَدَينْ

صوت : عَـجِّـلْ إذنْ

الحُرّ : « وهو يشهر سيفه »

ها أنذا !
هـــا أنـــذا والمـــوتُ نُصْبَ عيني
يغْلقُ بـــالأرجـــلِ واليَـــدينِ
في عُـنـقـي دَيـنُ وأيُّ دَيـنِ

« يهم بالخروج »

أبو حفص : « منادياً »

يا حُـرّ

قِف لحظةً

لقد أردتَ ماءْ

الحُرّ : « وهو يغادر المسرح »

هيهات

إنَّ الحسينَ ماءْ .. إنَّ الحسين ماءْ

إنَّ الحسينَ الماءْ

« يختفي المشهد »

الشمر : أكرهُـهُ

مالك : لماذا ؟

الشمر : رأيتُـهُ ممزَّقاً

مُلقىً على الرمالْ

وكانَ في مفازةِ العَـطَـشْ

كأنَّ في عينيهِ غيمَتَينِ تُمطرانْ !

أكرهُـهُ

أكرهُـهُ

مالك : « الى سهيل »

أأبصرتَ مقتله يا سهيلْ ؟

سهيل : شهدْتُ مقاتلَهم كلَّها

مالك : كيف ألفيتَهم ؟

سهيل : لم يكونوا سوى نَـفَرٍ

أنفقوا موتَ جيشٍ بأكملِـهِ

مالك : والحسينْ ؟

سهيل : « مباغتاً »

مالك !

الشمر : ما خطبُكَ يا سهيلْ ؟

تخافُ أن تسمعَ هذا الاسم ؟

أم تُشفقُ أن أسمعَـهُ أنا ؟

إنّي أنا قاتلُـهُ يا سهيلْ

قاطعُ رأسِـهِ أنا يا سهيلْ

فما الذي تخافُـهُ عليّ ؟

شهرٌ وما أزالْ

أرى بعيني جسداً لا رأسَ لَـهْ

ينهضُ كلَّ ليلةٍ

يطوفُ في الشوارعْ
أبصرُ كلَّ ليلةٍ رأساً عظيماً يتدلَّى
يعبرُ السطوحْ
يلصقُ بالأبوابِ والنَّوافذْ
يبحثُ عن أكتافِـهِ
أراهما يقتربان حدَّ أنْ يلتقيا
حتى إذا كادا
يموجُ الدَّمُ في الأرجاءْ
ثم أرى سيفي وكفَّيّ وقد علتْـهُما الدماءْ
فما الذي تخافُـهُ عليَّ يا سهيلْ ؟

« يلتفت الى مالك »
سأشفي غليلَـكَ مالك
شهرٌ وأنتَ تحاولُ أن تَتقرّى
أحسُّ بعينيكَ ، كفَّيكَ
شكلِ اختلاجةِ وجهك
أسمعُ صوتَ لُهاثِـكَ يركضُ خَلْفَ التفاصيل
أعلمُ أنكَ تبحثُ عن لحظةٍ

مالك : « مقاطعاً »

إنَّني لستُ

الشمر : « مقاطعاً »

لا تعتذرْ

أنا أيضاً أحاولُ أن أتحرَّرِ مِن هذه

اللحظةِ الآن

شهرٌ وأنا أحفظُها يا مالكُ سرّاً

أملكُ منها ما لا يملكُه أحدٌ

مالك : ماذا يا شمر ؟

الشمر : أسئلةً

مالك : أسئلةً ؟!

الشمر : لا يُسألُها إلا مَنْ يقطعُ رأسَ حسينٍ آخر

مالك : ما أوّلها يا شمر ؟

الشمر : « يحملق في وجه مالك مأخوذاً ، بينما صدى السؤال التالي يأخذ بالتضخم طالعاً من جميع جوانب المسرح »

لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

« يخفت الصوت تدريجياً »

الشمر : « شارداً »

لماذا ؟

لماذا ؟

مالك : لماذا ؟!

الشمر : كلَّ يومٍ أُجزّىءُ نفسي

أقول :

إذا كان لا بدَّ من موتك الآن يا شمر ،

فاعرفْ على أيّما قِبلةٍ ستموت

ثم أمسكُ هذا السؤال

أُثبّتُه نُصْب عيني

واجمع نفسي جميعاً

أواجهُهُ

كي أردَّ عليه

ولكنَّه يتَشعَّبُ مالك

يورقُ .. يورقُ

حتى يصيرَ ألوفاً من الأسئلةْ

« يطرق لحظة ثم يواصل »

كنتُ أرفعُ سيفي لأقطعَ بلعومَهُ
كان مُلقىً على الأرضِ
جرحاً كبيراً ...
توهَّمتُه ميّتاً
فجأةً
فكَّ عينيه
مالك ..!
لم أرَ قطُّ احتجاجاً كعينيه !
لحظةً .. لم نكنْ غيرَ هذين :
قاتلًا خائفاً
وقتيلًا يلاحقُهُ
محضَ عينين !

مالك : ما قال شيئاً ؟

الشمر : بلى .
كِلْمةً واحدهْ
« لماذا »
لم يكنْ خائفاً قدْر ما كانَ مُستنكِراً
للحظةٍ ،
أحسسْت أنَّ كلَّ ما في الأرضِ
مِن سيوفْ

تعجزُ أن تقطع رأسَهُ ..
نظرتُ بين عينيهِ سليباً مُفزَعاً

مالك : أجـبتَـهُ ؟؟

الشمر : بدونِ وعيٍ
هكذا ..

قلتُ لهُ :
لأنني أكرهُـكْ
هذا الصَّفاءُ المطمئنُّ
هذي النظرةُ النبيَّة العينينْ
أكرهُها

قلتُ :
إنَّك عبءٌ من الطُّهرِ
تكرهُك الأرض
إذْ أنتَ تفضحُها

إنما محنتي بكَ أضعافُ محنتكَ الآن بي
أنا مَنْ شاءَ لي سوءُ حظيَ
أن أُبتلى بإزالةِ كلِّ المروءةِ
عن كاهلِ الأرض
« لحظة صمت »

مالك : ثمَّ ؟؟

الشمر : أشحتُ بوجهيَ عن وجهِهِ

وبكلتا يديَّ شددْتُ علِى السيف

كان خوفيَ يكبرُ ... يكبرُ

حتى غدا ضعفَ حجمِ توجُّعِهِ

فتمكَّنتُ

أنهيتُ آلامَـهُ

واحتفظتُ بخوفيَ يكبرُ من يومها

« لحظة صمت »

ثم رافقَني رأسُـهُ

رافقتني عيونُ الصغارِ وأصواتُهم

وشعورُ النساءِ وأصواتُهـنَّ

الصراخُ العويل ...

وقد كنتُ وحدي ،

غريباً عن الجيش أجمعِهِ

حاملًا رأسهُ فوقَ رمحي .

وتبيَّنتُ في أوجُهِ الجُندِ

أنيَ شيءُ يخافونهُ

يتحاشونَهُ

وأقولُ لكَ الحقَّ مالك ؟

كنتُ أحسُّ كراهيةَ الجندِ لي

مالك : مَحضُ وهمِكَ

الشمر : لا .

« مشهد من المسيرة برأس الحسين . صراخ وعويل وبكاء ولغط »

أحد الجنود : تعالَ هنا يا حُذيفةُ

مالَك تحشرُ نفسكَ في موضعٍ

لستَ صاحبَه

الجندي الثاني : إنَّني أتأمَّل وجهَ الحسين

فما كنتُ أبصرتُه قبلَها

الأول : شامتاً يا حذيفةُ ؟؟

الثاني : لا والذي خلق الخلْق

إنّي أحسُّ له رهبةً يدخلُ الجلدُ

في اللحم مِن هَولِها

الأول : فتجنَّبْ إذنْ .

« يضع يده على كتفه ويبتعد به »

يا حذيفةُ ، أنتَ أخي
أخشى عليكَ أن تكونَ مسقطاً لظلِّ
هذا الرأس ..
دعْ مَنْ قطعوهُ يحملون وزرَهُ
هيَّا بنا ،
وكنْ بعيداً ما استطعتَ عن ظلالِ
الشمر

« مشهد آخر من المسيرة نفسها »

جندي ١ : تعجَّـلْ .. تعجَّـلْ
جندي ٢ : علامَ حماسُـكَ ؟
جندي ١ : نشهدُ كيف لقاءُ الخليفةِ للشمر
لا شكَّ يُثقلُه ذَهباً
جندي ٢ : ليس أثقلَ من حملِه الآن !
جندي ١ : ماذا ؟
جندي ٢ : « مستدركاً »
أقولُ : وما شأننا نحنُ ؟
نغرمُ في الغُرْم
أما إذا غَنموا

فغَنائمهُم بينهم

جندي ١ : أراهنُ أنَّ يزيد سيُثقلُهُ ذَهباً

« يختفي المشهد »

الشمر : « وهو يضحك ضحكاً هستيرياً »

أثقلَني يزيدُ بالذَّهبْ

أثقلني يزيدُ بالذَّهبْ

« مشهد جانبي »

صوت الشمر : إملأ ركابي فضَّةً أو ذَهبا

إني قتلتُ السيدَ المُحجَّبا

وخيرَهم مَنْ يذكرون النَّسبا

قتلتُ خيرَ الناسِ أُمَّاً وأبا[1]

صوت يزيد : أتزايدُ يآبنَ اللئيمةِ ؟

إنْ كنتَ تعلمُ مِن أمره ما ذكرْت

فكيفَ قتلتَه ؟

أخرجْ ،

فما لَك عندي سوى نقمتي

إنْ رأيتُك ثانيةً

« يختفي المشهد »

(١) الابيات لشمر بن ذي الجوشن .

الشمر : « وهو يواصل الضحك بصورة هستيرية »
أثقلَني يزيدُ بالذَّهب
أثقلَني يزيدُ بالذَّهبْ

« تتحول ضحكته الى ما يشبه العويل »

أثقلَني يزيدُ بالفقرِ وبالجريمهْ
أثقلَني بالفقرِ والجريمهْ
بالفقرِ والجريمهْ

منبوذٌ كالجملِ الأجربْ
منبوذٌ لا يقربُني إلا مَنْ لا يعرفُني
والشامت المُشفقْ
منبوذٌ منبوذٌ منبوذٌ

سهيل : « الى مالك »
« بينما الشمر ـ وقد عاودته النوبة ـ ينهض متجهاً إلى أشباح
لا يراها أحد »
لقد كنتُ أخشى مغبَّة هذا التَّمادي
وأسكتَّني حينَ حاولتُ ..

مالك : « مقاطعاً »

حاولتَ ماذا سهيل ؟

أتوهِمُ نفسَك ؟؟

مُـرْ هذه الريحَ أن تهدأ الآن

إنَّ الذي فيه هذي الرياح

فهل في يَديك أعنَّتُها ؟!

الشمر : تعالي املأي وحدتي يا عيونَ الذين

تمرَّغتُ في دمِهم

يا شَخيرَ حناجرِهم

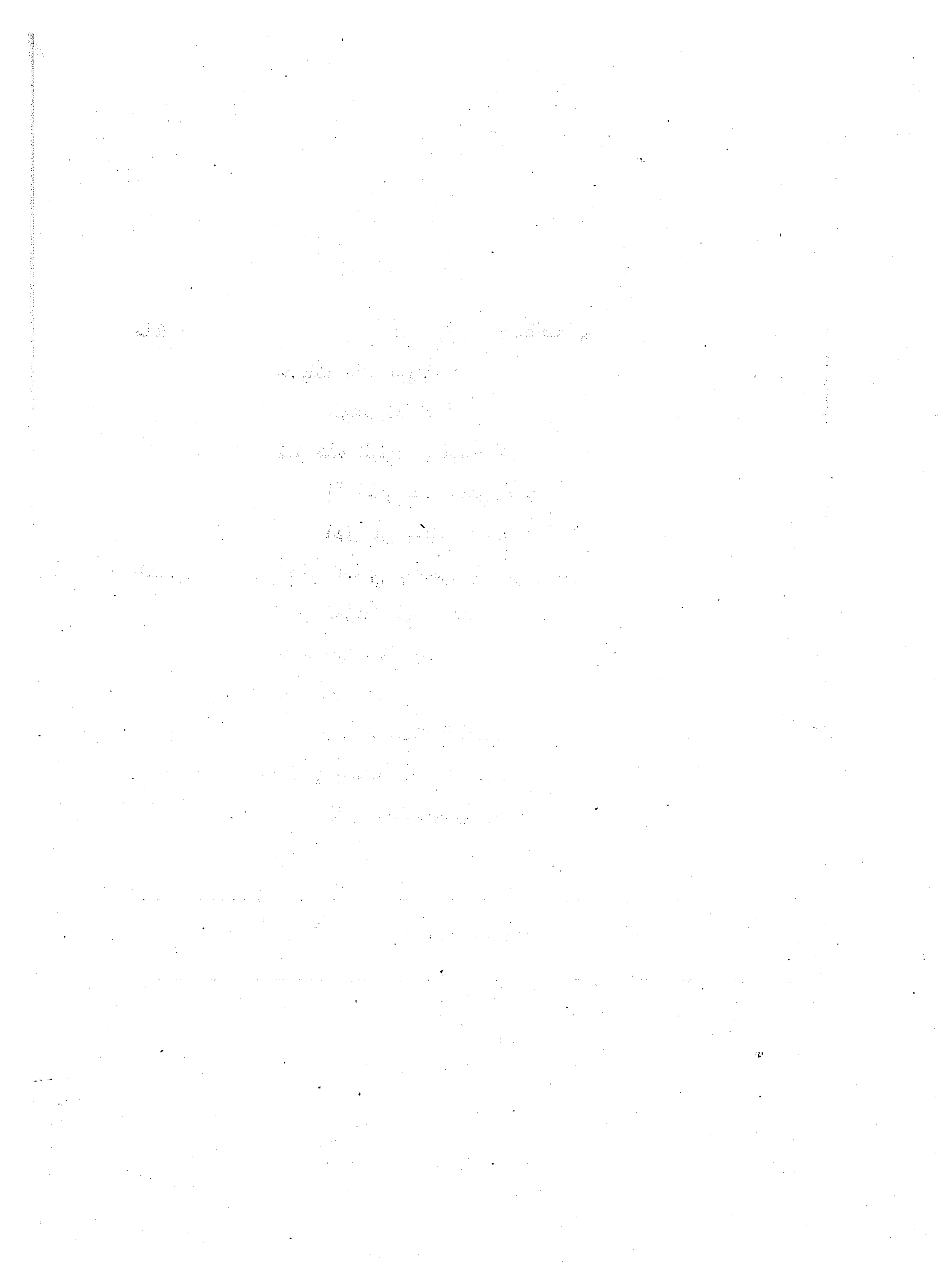
يا بكاءَ الصغار

ويا صرخاتِ الثكالى

بدّدي وحشةَ الصمتِ حولي

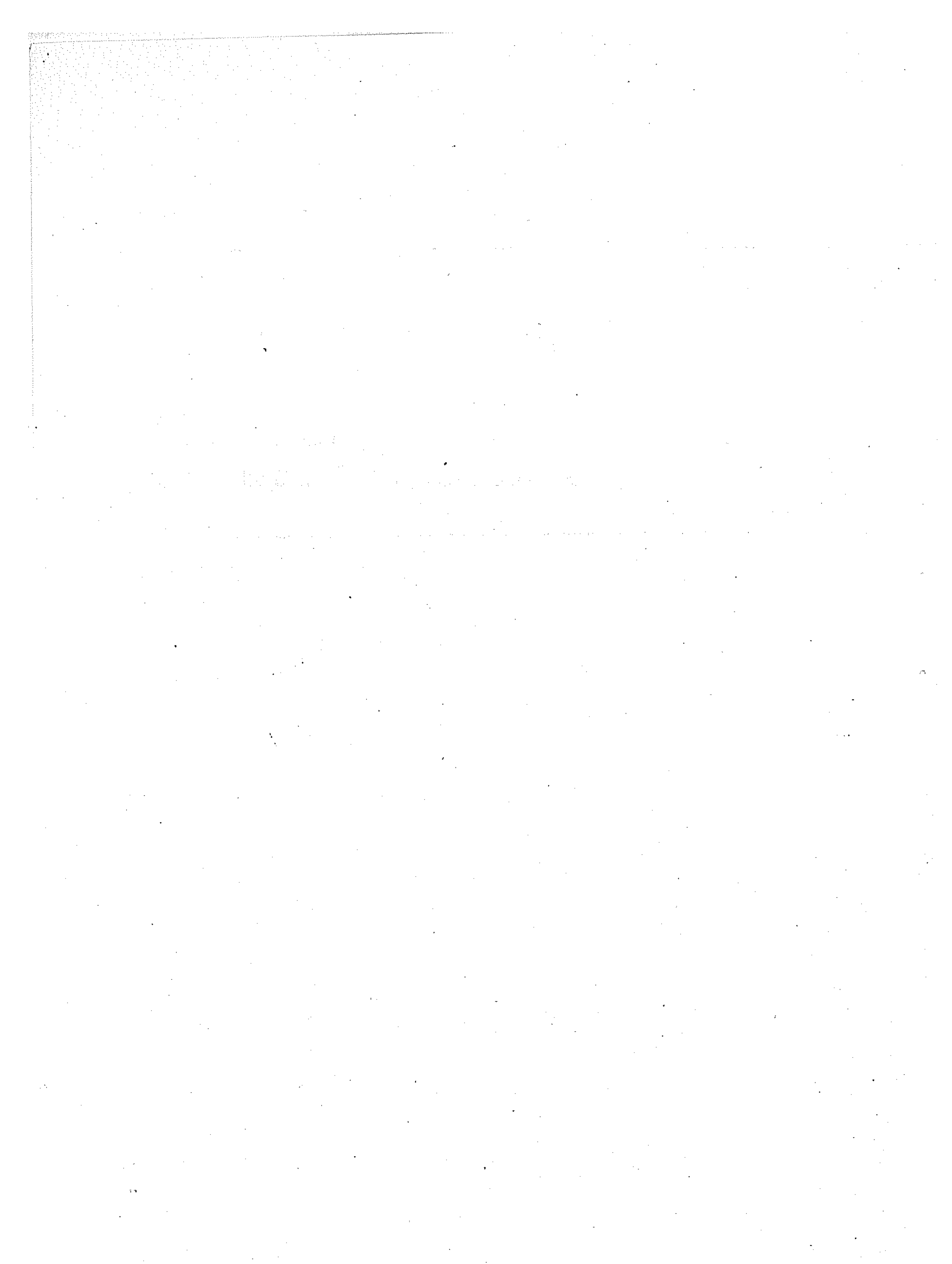
فاني وحيدٌ وحيدٌ وحيدْ ..

« ستار »



الفصل الثالث

الزمان :   الوقت الحاضر
المكان :   الكوفة .. أي مكان يمكن أن يجتمع فيه الرجال .



الكورس : يختلفُ الماءْ
تختلفُ الأوجهُ والأسماءْ
لكنْ مثلَ دِلاءِ الناعورْ
تتشابهُ وهيَ تدورْ
تتشابكُ وهيَ تدورْ

المسيح : « مصلوباً عرض خلفية المسرح »
لأنيَ فرَّقتُ في الناسِ لحمي
لأني حملتُ عذاباتِهم
لأني تسمَّيتُ بآسمي

المسيح : « مصلوباً أسود »
لأني فرَّقتُ في الناسِ لحمي

المسيح : « مشنوقاً »
لأني حملتُ عذاباتِهم

المسيح : « مقتولًا بالرصاص »
لأني تسمَّيتُ بآسمي

« أصوات من جميع أرجاء المسرح »

— لأني فرقتُ في النا ...

— لأني حملتُ ...

— لأني ...

— لأني ...

— لأني ...

— لأني ...

الكورس : كلُّ زمانٍ يحملُ قَتلاهْ

كلُّ مكانٍ يدفنُ قتلاهْ

والناعورُ يدورْ

يَلدُ الدَّهرُ الأزمانْ

يلدُ الموتُ الإنسانْ

لكنَّ الخوفْ

يَلدُ الطوفانْ

لكنَّ الخوفْ

يلدُ الطوفانْ

« يختفي الكورس »

عمار: « منادياً وهو يدخل على الجمع »

أيُّها الناسْ

هبطَ الغيمُ في أرضكم

هَبطَ الغيمُ في أرضكم

أيُّها الناس

— ماذا يا عمار ؟

— ماذا يا عمار ؟

عمار: غيمةٌ

غيمةٌ هبطتْ في مَداخلِ أبوابكم

وهي تسألُ

هل مسَّكم عَطشُ

— أوضحْ يا عمار

— أوضحْ ..

عمار: يا أهل الكوفهْ

ألف عامٍ تعضُّون فوق أصابعكم ندماً

ألفَ عامٍ وعطشانكم يرفعُ الكأس

يُبصر خيطاً من الدَّمِ في الماء

ألفاً ،

وأنتم تَخطُّون فوقَ الرؤوس

وفوقَ الظهورِ

وفوقَ الصدورِ
تواريخَ آبائكم
وتقولون يا لَيـتَنا
وتقولون لولا ...
ولو أنَّنا ..
ها هو الآن إنْ كنتمو صادقين

— مَنْ هو الـ...

— مَنْ ؟؟

— تكلَّـمْ

عمار: رسولُ الحسينْ

« يثب اليه جماعة من الحاضرين ، في حين يحدث الخبر هزة عنيفة فيهم جميعاً . »

— رسولُ الحسين ؟؟

عمار: على مدخل الكوفة الآن هل مَنْ يبايعُه ؟

« الحضور ينظرون الى وجوه بعضهم وألسنتهم معقودة في حين يتسلل بعضهم هرباً . »

عمار: قد أتاكم رسولُ الحسين
فهل مَنْ يبايعُه ؟

حارث : « وهو يثب اليه »

مهلًا

مهلًا

ما هذا يا عمار ؟

عمار : ماذا يا حارث ؟

حارث : أسؤالٌ تسألُه ؟

عمار : بل خبزٌ أحملُه

حارث : فإذنْ كنت بشيراً

لكنَّك ما أحسنْتَ البشرى

عمار : أَوَ لم أفعلْ ؟

حارث : كلّا واللّه

إنَّها فَرحةُ العُمر

كِدْتَ تحوِّلها كَدراً

وتُسائلُ :

- هل مَنْ يبايعُهُ ؟!

لَكأنَّك تدفعُ أمراً يقيناً الى الشكّ

« آخرونَ يتسللون هرباً »

عمار : « وهو ينظر اليه والى المتسللين »

هل .. برحَ الشكُّ يابنَ أبي عوف ؟

حارث : « يسحبه جانباً »

ويحكَ يا عمار

أَوَلم نُجمعْ أمسِ على البيعةِ ؟

عمار : بلْ أجمعْنا

حارث : فلماذا تبدو وكأنَّك تستجدي ؟

عمار : ويلك ! -

الأمرُ وصاحبُه أكبرُ من شتْمِكَ هذا

حارث : فلماذا ؟؟

عمار : إنَّك أوَّلَ مَنْ يعلمُ يابنَ أبي عوف

لماذا !

« يطيلان النظر الى بعضهما »

حارث : « يتجه الى الحاضرين »

يا أهلَ الكوفهْ

أَوَما أجمعْنا أمسِ على البيعه ؟

عمار : « بحيث يسمعه الجميع »

أتظلُّ تُعيدُ سؤالَك هذا يا حارثْ ؟

تعلمُ أنَّا أجمعنا ،

لكنْ تعلمُ أنَّا لم نُجمعْ إلا سرّاً

حارث : والآن سنعلنُها

وأنا أوَّلُ مَنْ يفعلُ يا عمارِ

أوَّلُ مَنْ يفعلْ

عمار : « مع نفسه »

أوَّلُ مَنْ يفعلْ

وستُسلمهُ قبل صياحِ الدّيكْ !

حارث : « يتجه الى مرتفع يقف فوقه ، فيقاطعه معتوق »

معتوق : كلا واللّه

لن يبدأها غيري

آخرون : « ينهضون إليهما »

بل نبدأها نحنُ

آخر : مهلًا يا حارثْ

مهلًا يا معتوقْ

ما هذا ؟

هل التبسَ الأمرُ حتى أضاعتْ جميعُ

الرجالِ مواضعَ أقدامِها ؟

« يلتفت الى الجمع »

يا أهل الكوفهْ
هذا شمرانُ الضّاري
هل فيكم مَنْ يجهلُـهُ ؟
أوسعِوا في الطريق لشيخ الفراتين
لا أحدُ غير شمران يبدأها

عمار : « لنفسه ، بينما شمران يتجه الى المرتفع »
هكذا دائماً
ألف عامٍ وأصواتُكم هكذا
ألف عامٍ وأجسامُكم هكذا
تتزاحَـمُ حتى لتيأسَ أقدامُ كلِّ الحُفاةْ
أن ترى موضعاً بينكم دون أن تطأوها
وفي لحظةٍ
يجدُ المستغيثُ بكم نفسَـهُ عارياً
وخناجرُكُم تتسابقُ نحو مُقاتلِـهِ
قبل أن يتجاسر أعداؤه

شمران : « وقد استقر على المرتفع »
ألا فليستمعْ مَنْ شاءْ
ألا فليستَمعْ مَنْ شاءْ

أنا وعشيرتي وجميعُ مَنْ واليَتُ
بايعْنا الحسين خليفةً
يا قومْ
أنا وعشيرتي وجميعُ مَنْ ...

« آخرون يتسللون هرباً »

— نحن أيضاً نُبايعُ
— هذي مواثيقُنا نحنُ
خمسون من بيتِ عبدِالعزيز

« اثنان ينسحبان الى زاوية المسرح »

الأول : أيَّ رأيٍ ترى ؟
الثاني : ما لَنا نحنُ ؟
بيعتُـهُم بينهم
لك رأسُكَ حمدأن
فانجُ به
ثم طأطِئهُ بين يَدَيْ مَنْ يكونُ الخليفةَ ..
هيَّا بنا

« يخرجان »

— وعشرونَ من آل نِعمان

حارث : على رسلِكُمْ

— وثلاثونَ من آل عثمان

حارث : مهلًا

دعوني أسجّلُ أسماءَ مَنْ بايعوا

— سَجِّلْ من بيت الأنصاري عشرينْ

— مائةً من آل شهاب الدّين

« يتميز في المشهد ثلاثة حفاة بائسي المظهر يتحرك كلٌّ من ناحية »

الأول : هل مَنْ يسمعُني ؟

الثاني : هل مَنْ يسمعُني ؟

الثالث : هل مَنْ يسمعُني ؟

الثلاثة معاً : « يجتمعون الى بعضهم »

هل مَنْ يسمعُنا ؟

— مئتا رجلٍ من بيت ضياء الدين

الثلاثة : ألا مَنْ يسمعُنا

نحنُ ثلاثةُ أشخاصٍ ...

— مائةٌ وثلاثون يداً من بيت جلالْ

كلُّ يدٍ فوق زنادْ

الثلاثة : مَنْ يكتبُ عنَّا ؟
نحن ثلاثة أشخاصٍ لا نملكُ
إلا أنفسنا .

رشيد : « وهو يدخل على الجمع »
ما هذا ؟
ماذا تفعلُ يا حارثْ ؟

« بلبلةٌ بين الحاضرين ، ثم يسود صمت مطبق »

حارث : كما ترى
نوثِّقُ البيعةَ للحسينْ

رشيد : ماذا ؟؟

حارث : أقولُ إنَّنا هنا لبيعةِ الحسينْ
ولن يمرَّ اليومُ حتى نجمعَ الرجالَ والسلاحْ

الثلاثة : مَنْ يجمعُ عنَّا هذي الأسماءْ ؟
نحن ثلاثةُ أشخاصٍ ...

رشيد : « مقاطعاً » أغلقوا فَمكُمْ
من بيتِ مَنْ أنتم ؟

الثلاثة : ليس لنا من بيتْ

رشيد : فبآسمِ مَنْ ؟؟

الثلاثة : أسمائنا

رشيد : أنتُم ؟!

حارث : رويداً يا رشيد

رشيد : بل تَـرَوَّ أنتَ يا حارثْ
ماذا تراكَ صانعاً بهذه الأسماءْ ؟

حارث : قلتُ هي البيعةُ يا رشيدْ

رشيد : حارثْ
لعلَّكَ لم تنسَ أنَّ الحسينَ سيُقتَلُ
بعد ثلاثين يوماً

أصوات من
بين الحاضرين: سيُقتَلُ بعد ثلاثينَ يوماً ؟؟

رشيد : وها أنتَ تجمعُ أسماءَ أعوانِهِ

حارث : كيف تجرأُ ..؟

رشيد : « مقاطعاً »
بل قُلْ لهم حارثَ بن أبي عوف
أنكَ قبلَ الصباحِ ستُسْلِمُ هذا الرسولَ

لأعدائِـهِ ثمَّ يُقتَلْ

أصوات : مكيدةٌ إذنْ

آخرون : مكيدةٌ مدبَّرةْ

« يهجمون جميعاً على حارث »

هاتِ أسماءنا

هاتِ أسماءنا

عمار : « وهو يحول بينهم وبين حارث »

يا قوم

لا تُمكِّنوا عدوَّكم منكم

يا قوم ..

المهاجمون : هاتِ أسماءنا

— سعيدْ

انتزع الأسماءَ من يَـدَيه

« يتمكنون من حارث ، فينتزعون منه الأوراق »

— هاتِها

— هاتِها

« يخرجون جميعاً »

« يبقى في المشهد عمار وحارث ورشيد والحفاة الثلاثة »

عمار : شوَّه اللّهُ أوجُهَكُم
شوَّهَ اللّهُ مَنْ يستعينُ بكم
ألفَ عامٍ تُمنّونَ أولادكم
ألفَ عامٍ يشبُّ الرَّضيعُ بأحضانِ نسوتِكُم
وهو يحلمُ أن يرتدي كفناً
ليُقاتلَ عن شرفٍ باعَهُ أهلُهُ
كيف يدخلُ داخلُـكُـم بيته الآن ؟

« يلتفت الى الحفاة الثلاثة »

وأنتمو
يا أيُّها الحفاةُ حتى ساعة القيامهْ
يا مَنْ تجيئون وتمضون ولا يعلقُ في ثيابكم
من أجرِها قُلامهْ
من ألفِ عامٍ وأنا أرقبُ
لو يسألُ منكم واحدٌ عن وجهةِ السَّلامهْ
لكنْ تجيئون وتمضون ..
ويبقى موتُكم في جبهتي علامهْ
هيَّا بنا
يا خير مَنْ تحملُ هذي الأرض

رشيد : « وهو يستوقفهم »

الى أين عمار ؟

« يقفون »

أتحسبُ أنَّكَ تنجو بهم ؟

سوف تُقطع أعناقُهم قبلَ أن يبلغوا مدخلَ السوقْ

وأنت على رأسهم

الثلاثة : اسمعْ يا هذا

نعلمُ أنَّا سنموتْ

بايعْنا في الطَّـفِّ ومتنا

بايعْناهُ بسيناء ومتنا

بايعْناهُ بتلِّ الزَّعتر أمس ومتنا

ونبايعُه في الأرض المحتلة كلَّ نهارٍ

ونموت ...

« يلتفتون الى عمار »

هيَّا بنا يا صاحب الحسينْ

« يخرجون »

« يبقى في المشهد حارث ورشيد »

رشيد : ما الذي جِدَّ حارثْ ؟

ألفَ عامٍ ونحن نمثّلُ أدوارَنا .

كنتَ تُتقنُ دورَك حدَّ العمى

فلماذا تعمَّدْتَ أن تُفسدَ المشهدَ الآن ؟

حارث : اسمعْ رشيد

لـنَـعُـدْ ألفَ عام ..

رشيد : « مستغرباً »

الى أين حارث ؟

حارث : للنهار الذي ابتدأتْ فيه هذي الروايه

رشيد : « ضاحكاً »

هكذا ...؟

كنتُ أسألُ نفسي :

لماذا يغيّر حارثُ في دوره ؟

صرْتَ تنسى إذنْ ..!

« وهو يواصل الضحك »

لا عليك ،

نعودُ لأول عرضٍ لها

سنُثبِّت كلَّ تفاصيلِ أدوارنا

حارث : سوف تبقى رشيدُ أميناً لدورِكَ هذا

الى ان تقومَ القيامه

رشيد : وأنت ...؟
ودورُكَ أنت ...؟
ألستَ أميناً عليه ؟؟
حارث : دعْ أمر دوري الآن
فلي حديثٌ موجعٌ بشأنِه معكْ ..
إني أبحثُ عن شيء آخر ..

« وكأنه يخاطب نفسه »
عن وجهٍ ،
أقسمُ أني أعرفُهُ ،
وكأني أبصرُ ختماً في جبهتِهِ
لكنَّ سنيناً ألفاً أكلتْ ذاكرتي

رشيد : لا يعنيني يا حارثُ ما تبحثُ عنهُ لنفسكْ
لكنْ يعنيني ألا تُهملَ تفصيلًا
مهما كان صغيراً
في دورك
حارث : اسمعْ يا هذا
أما ما أبحثُ عنه لنفسي
فكبيرٌ لا تدركُه أنت ..

وأما دوري

فاْعلمْ أني سأغيّر هذا الدَّورَ جميعاً

رشيد : ماذا ؟؟

حارث : « ينفجر ضاحكاً »

جاء دوري لكي أضحك الآن

رشيد : قاتَلَـكَ الله ...

للحظةٍ أوشكْتَ أن تُوقِعَ بي

حارث : كيف ؟

رشيد : توهَّمتُكَ تعني ما تقولُ في الحديثِ عن دورِكْ ..

أنتَ تتقنُ أن تُلبِس الهزْل وجهاً مخيفاً من الجدّ

حارث : بل انني الآن أُلبسُ جدّيَ وجهاً مخيفاً

من الهزْل !

سأرفضُ دفعَ رسولِ الحسينِ لجندِك

رشيد : أنتَ ؟؟!

حارث : أجل

رشيد : « وهو يضحك هازئاً »

ألفَ عام وأنتَ تجيءُ به صاغراً

حارث : كنتُ أفعلُ ذلكْ

رشيد : وستفعلهُ الآن

حارث : هيهات ...

اسمعْ رشيدْ

بماذا تفسّرُ أني تخلّيتُ عنهُ لكم وقتَها ؟

رشيد : « بتردد »

تُريدُ الصَّراحةَ ؟

حارث : طبعاً

رشيد : بخوفِكَ حارث

لا شيءَ عندي يُفسّر تسليمَهُ غير خوفِكْ

حارث : صدقتَ

رشيد : وسوف تعاودُ تسليمُه الآن

حارث : كلّا

رشيد : إذنْ فسنأخذُه عُنوةً

ثم نقتُلهُ بين عينيك

حارث : ها نحنُ نبدأ ...

هذي البدايةُ أقبلُها !

رشيد : أفتدري الى أين سوف تقودُك هذي البدايةُ ؟

حارث : ماذا ترى أنت ؟

رشيد : كلُّ التفاصيل تبقى كما وقعتْ

غير شيءٍ صغيرْ

مصيرُك أنت ...
مصيرُك أنت الوحيدُ الذي يتغيَّـرْ ...
سوف تُقتلُ حارث

حارث : « ينفجر ضاحكاً بعنف »
يا ليتْ ..!
« وهو يواصل الضحك »
كنتُ أحسبُ انكَ أذكى
تهدّدني الآن بالموت ..؟
مَنْ لي بهِ ؟

يومَها يا رشيدْ
حين طوّق جُندكَ بيتيَ من ألفِ عامْ
كنتُ مِن أوَّلِ الليلِ
أمسكُ ميزانَ أمري لأرفعَهُ ..
كنتَ أنتَ وبهْرجةُ العيش في كفَّةٍ
ورسول الحسين مع الموت في كفَّةٍ
ويَدُ الخوفِ ترجفُ بينكما
وهيَ ترفعُ ميزانَها !.

تعلمُ يا رشيدْ ؟

لـم أحتقرْ نفسي كما احتقرتُها لحظةَ جاءَ الموتْ ...
حملتُ ذاك النَّدم
حملتُ طولَ العمر إحساسيَ بالجُبن وبالخيانهْ
ومثلما تطرِفُ عينٌ أقبل الموت
لماذا ؟
قُلْ .. لماذا ؟
بأسمِ مَنْ إذنْ ؟؟

وتجيءُ تُهدّدني الآن بالموت !
يا ليت ..
مَنْ لي به ؟
ما الذي ستُضيفُ سوى أنْ تُقدِّم ميعادَهُ
ساعةً ؟؟

« لحظة صمت »

حارث : « مباغتاً »
هاهو ذا !
رشيد : مَنْ ؟
حارث : ذلك الوجهُ الذي أبحثُ عنه منذُ ألفِ عامْ

« مشهد »

« ياسر . عائشة زوجته . أصوات جنود عبيدالله »

« المشهد يدور في بيت ياسر والجند يطوقونه »

عائشة : ماذا تنوي أنْ تفعلَ يا ياسرْ ؟

ياسر : لا أدري ماذا أفعلُ يا أمَّ سُليمْ

عائشة : أطبقت السَّكينهْ

إنَّهم الآن يراقبون حتى الظلَّ في مسالِك المدينه

أُوصدتْ المنافذْ

أوصدتْ الأبوابْ

وبيتُنا ،

لا منفذٌ منهُ

ولا مِن منفذٍ اليه

كلُّ حجارةٍ من الجدرانْ

وراءها سيفُ ،

وفي أعقابها عينانْ

رشيد : « الى ياسر الغريق في مشهد يراه وحده »

عسى أن تراجعَ نفسَك حارثُ

حارث : « مقاطعاً بمرارة »

صمتاً رشيدْ

أنا الآن في حضرة الحقِّ كلِّـهْ
وفي حضرة الموت كلِّـهْ
فهبني سكوتَك عني ولو لحظةً

« يصمت رشيد مستغرباً .. بينما يستمر المشهد »

صوت من الجند
خارج البيت : يا ياسرْ
بيتكَ نُصْبَ العينْ
سلِّمنا أعوانَ حسينْ
تْنجُ بنفسِكَ وبأولادكْ
أو فالويلْ
إنَّا منتظروكَ الى أن يعتكرَ الليلْ
إنَّا منتظروكَ الى أن يعتكرَ الليلْ

عائشة : « مباغتة »
واويلتَا ياسرْ
سُليمُ خارجَ الدارْ
ما عاد مُـذْ أرسلتـهُ لعمار

ياسر : « بقلق شديد »
تأكَّدي يا عائشه

لا بدَّ ان يكونَ في إحدى زوايا البيتْ

عائشة إحدى زوايا البيت ؟؟

أرسلتَـهُ لكي يرى عمار

فكيف عاد دونَ أن يراك ؟

« منادية وهي تبحث في أنحاء البيت »

سُليم

سُليم ..

ياسر : « «منادياً هو الآخر وهو يبحث »

سُلْيم ..

يا سُلْيمْ

سليم : « من خارج الدار وقد أمسك به الجنود »

أتركوني

أتركوني

ياسر : هذا صوت سُليم

« منادياً بفزع »

سُلْيم

سليم : « منادياً من الخارج »

أبتاه

عمار يُقرِئُك السلامْ

عمارُ ماتْ
عمار يُقرئك السلامْ
عمارُ ماتْ

« الجنود يكمون فمه »

عائشة : « صارخة »

سُليم
إبني .. حبيبي

« تهمّ بالخروج فيمسكها ياسر »

دعني أرى ولدي
دعني أراه

صوتٌ
من الخارج : يا ياسرْ
هذا ابنُكَ في أيدينا
افتحْ بابَ البيتْ
أو نذبحهُ الآنْ

عائشة : « وهي تحاول التخلص من يد زوجها »
لا ..
لا ..

نفتحُها

نفتحُها

ياسر : « وهو يتشبث بها بكل قوته »

يا عائشه

يا عائشه

لسنا سوى مسلمَينْ

تذكَّري ،

بمثل هذا امتحنوا محمَّـدْ

عائشة « وهي تجاهد للتخلص من يديه »

ابني الوحيدْ

ياسر : عائشه

استغفري اللّهَ فنحنُ معشرٌ مؤمنونْ

أيَّ حياةٍ تحفظينَ لسليمٍ لو فتحت الآن

هذي البابْ ؟

عائشة حياتُـهُ رهنٌ بهذي الباب يا ياسرْ

يعيشُ لو فتحتُ هذي البابَ يا ياسرْ

يعيشُ لو فتحتُها

يعيشُ ..

ياسر : يعيشُ .. لا ،

لكنَّهُ ينجو من الموتِ

لكي يموتَ ألفَ مرةٍ في اليومْ
أتعلمينَ عائشهْ
إن أنتِ أبقيتِ عليهِ الآن بالخيانه
بأنْ تُبيحي هذهِ الأمانه
لأيِّما مهانه
لأيِّ عمرٍ ملؤهُ العارُ ستُسْلمينَـهْ
سوف يظلُّ عمرَهُ
خطوتُـهُ لعينه
طلعتُهُ لعينَـهُ
يُثقلُها العارُ ،
فلا يرفعُ فرطَ عارِهِ جبينَـهْ

صوت

من الخارج : يا ياسرْ
عنقُ ابنِكَ تحتَ السيفْ
إن لم تفتحْ هذي البابْ
فسنُلقي الآن إليكَ برأسِهْ

سليم : « صارخاً من الخارج »
أبي ..

عائشة : ولدي

ياسر : عائشه

لحظةً يتَعذَّبُها

لحظةً ثم يسكتْ

ثم يبقى لهُ الصوتُ حتى تقومَ القيامه

عائشة : ولدي

ياسر : عائشه

إنَّــهُ ولدي أنا أيضاً

ولأني أموتُ عليه

سأجنِّـبُـهُ أنْ يكونَ مُهاناً ذليلًا

إنْ يكنْ عمرُهُ رهنَ أن تفتحي هذه الباب

فلتعلمي

أنَّ في فتحها

فتحَ بابٍ لهُ في جهنَّـمْ

سوفَ يلعنُنا كلَّ لحظه

اننا لم نصُـنْ حرمةَ اللّهِ فيه

لم نصُـنْ حرمةَ الأبِ والأمِّ فيه

عائشه

إنَّها حكمةُ اللّهِ

فاحتسبي في سُلَيمْ

سليم : « يصرخ مذبوحاً »

« ياسر يذهل . تفلت زوجه من يديه وتصعد الى سطح الدار وهي تصرخ »

عائشة : وا ولدَاه

وا ولدَاه

ياسر : « يحاول اللحاق بها فلا يدركها »

عائشة

يا عائشة

عائشة : « وهي تلقي بنفسها من سطح البيت »

سُلَيم ...

أعوان البيعة : « يخرجون من البيت الخلفي الى ساحة الدار حيث ياسر »

— ما هذا ؟

ماذا يجري يا ياسرْ؟

ياسر : « مع نفسه باكياً »

حسبيَ اللّهُ فيكما

حسبيَ الله يا سليم

حسبيَ الله وكيلًا فيكِ يا أُم سليمْ

— ماذا ؟؟

— هل قتلوا طفلَكَ يا ياسرْ ؟

— ولم تَقُلْ شيئاً لنا ؟

— تتركُنا مختبئينَ عن مَهَبِّ العاصفه

ويذبحون ابنكَ ، ثم يقتلون أمَّـهُ
ولم تقلْ ؟

— ماذا تظنُّنا ؟
نعاجاً خائفه ؟

— ماذا أقولُ الآن يا ياسرْ ؟

— استغفرُ اللّهَ لنا ؟
لا غفرَ اللّهُ لمَنْ يظلُّ حيّاً بيننا الساعةَ
يا ياسرْ
« الى صاحبه »
سيوفكَم يا إخوةَ الحسينْ

ياسر : « يعترض طريقهم مقاطعاً »
مهلًا أبا أُمامه
مهلًا أبا سُهيلْ
واللّهِ لن يُسلمكم بيتي وفيهِ عَصبٌ ينبضُ بالحياة

— نخرجُ كُـلًّا

ياسر : لا وَرَبِّ البيت .
هَبونيَ راحة أن أسبقَ الناسَ لابني وزوجي
وراحةَ ألَّا أرى مَنْ تكفَّلتُهم يُقتلونَ أمامي ..
ما بينَنا ،
لحظةُ أن أجتازَ هذي البابْ

ثم احملوا ورائي

« يفتح الباب ويخرج شاهراً سيفه »

لبَّيكِ يا عائشهْ
لبيكَ يا سُلَيمْ ...

« يخرجون خلفه ويختفي المشهد »

حارث : « يلتفت الى رشيد وكأنه أفاق من حلم »
كنتُ أشرفُ من سطحِ بيتي
ورأيتُ ابنَه كيف قطَّعتموه ،
وزوجتَـهُ وهيَ تلفظُ أنفاسَها
كيف عذَّبتُموها
ورأيتُ مروءَتَـهُ وهو يدفعُكم عن محارمِـهِ
وكان مثلَ الأسدِ الجريحْ
ينضحُ كلُّـهُ دماً
وما هوى ،
كأنَّـهُ كان يجولُ بينكم بألفِ سيفْ

رشيد : فإذنْ ..

كنتَ تستذكرُ الآن ياسرْ ؟

حارث : كنتُ أستجمع الآن ياسرْ ؟

وأوازنُ ما بيننا

رشيد : لكنَّهُ ماتَ

ومات كلُّ مَنْ معَهْ

حارث : كلُّنا بعد ذلك متنا رشيدْ

كلُّنا بعد ذلك متنا

فرقُ ما بيننا

أنني ألفَ عامٍ قطعتُ لأجتازَ خوفي

بينما اجتازَ ياسرُ في لحظةِ

مرَّةً في حياتي بكيتْ

حين أبصرتُ ياسرَ يهوي

ما بكيتُ عليه ،

ولكنَّني مثلما تَنشجُ امرأة ثاكله

كنتُ أبكي لنفسي التي خنتُها

رشيدْ

أعدْ إليَّ اللحظة الأولى لكي أرفضَ أن

أدفعَ ذلك الرَّسول

ثم هذي عُـنُقي
أمدُّها لتقطعوها ألفَ مرةٍ رشيد
عدَّ هذهِ السنين أرجعوا رأسيَ واقطعوه .
شرطَ أنْ أستعيدَ البدايةْ

رشيد : لا تعجَـلْ حارث
يبدو لي أنّا سنواجهُ ما لم نألـفْـهُ الليله
اذهَبْ لتستقبلَ صاحبَـكْ
وانتظرْني وجُندي

عزيزٌ عليَّ وأنتَ صديقي من ألفِ عامْ
أن أطيحَ برأسكَ حارث
وبسيفيَ هذا

حارث : لا بأسَ يا رشيدْ
يأتي يومٌ تخجلُ أن تنظرَ فيه لسيفك هذا
تندى عَـرَقاً حتى من نَـظَرات الأطفالِ إليك
حينئذٍ ،
يتغيَّر في تمثيليَّتنا دورٌ آخر
رشيد : أنت تحلمُ حارث
حارث : بل أكادُ أرى ذلك اليوم ..

كم يستغرقُ ذلك ..؟
لا أدري
لكنَّني كما أراك الآن يا رشيدْ
بنفس هذا الصدقِ والوضوحْ
أراهمو ..
كل الذي مثَّلوا في هذه الروايةِ الملعونه
وهم يثورون على أدوارهم
سيدخلون نفسَ هذا المسرح الرَّهيبْ
لكنْ لكي يُغيِّروه لُوحةً لوحهْ
عندها
ستكونُ بدايةُ عصرٍ لا تعرفُه أنتَ الآن

رشيد : ما أعرفُه
أنك ما أبقيتَ ليَ الآن خياراً في رأسِكَ هذا
هيَّا بنا

« يخرجان ... »

« يدخل المعمدان مقطوع الرأس ومعه دليل يقوده »

المعمدان : ماذا ترى يا دليلْ ؟

الدليل : مدى المَدى صُلبانْ
جفَّت على أعوادِها الأذرعُ والسّيقانْ

هذا غلامٌ لم يزل يرفسُ

المعمدان : سلْـهُ

الدليل : « يذهب اليه »

أيُها الصَّبيُّ .. مَنْ ؟

الغلام : « صوت من خلف المسرح »

آخرُ مَنْ صدَّق حتى الآن !

آخرُ مَنْ صدَّق حتى الآن !

المعمدان : أحياناً يا ولدي

أسألُ نفسي :

ما جدوى أنْ تبحثَ عن رأسك يا يحيى

كلُّ عامٍ يمرُّ

يزيدُ يقيني بأني إذا عادَ رأسي الى عُنقي

فسأفقدُه بين يومٍ وليله

الدليل : مَنْ سيجرأُ يا سيدي ؟

المعمدان : الزَّمانْ

الزَّمانُ سريعُ هنا يا بُنيّ

يومَها

كلُّ شيءٍ هنا كان يأتي بطيئاً

لكي يصلَ الموتُ يحتاجُ وقتاً

لكي يصلَ الخوفُ ذَروتُهُ حَـدَّ أنْ يستوي قاتلًا

كان يحتاجُ وقتاً

ولكنْ ..

تغيَّرت الآن كلُّ الأمورْ

يأتي الفرحُ ويمضي في طُرفةِ عينْ

يأتي الحزن ويمضي في طُرفةِ عينْ

أما الخوفْ

فأنه لحظة يبتدَي يكونُ قاتلًا !

وهكذا يا ولدي

يبدو عبثاً أن أبحث عن رأسي

إني أعلمُ إنْ عاد الى أكتافي

كم سيثيرُ الخوفْ

الدليل : أتحاولُ يا سيدي أن تعودَ بنا دونَ أن ..

المعمدان : « مقاطعاً »

لا ..

سنواصلُ يا ولدي البحث .

هيَّا بنا

« يخرجان »

الشمر : « يدخل الى المسرح بملابس معاصرة ، ويوجه كلامه الى جمهور القاعة »

يا أهلَ هذا العصرْ
أيُّكم الحسينْ ؟

شاب
من القاعة : مَنْ أنت أيُّها الغريبْ ؟

الشمر :

« مستنكراً »

مَنْ أنا ؟؟
هلّا دنوتَ أيُّها السائلْ

الشاب : لماذا ؟

الشمر : أدنُ إليَّ كي ترى وجهيَ عن كثبْ
فربما عرفتَني

الشاب : « يخرج من صفوف المشاهدين ، ويصعد الى المسرح حيث الشمر ثم يتأمله ملياً .. »
ما زلتُ أسألُ :
مَنْ أنت ؟

الشمر : الآن صار السؤالُ يضيفُ الى الأمر بُعداً جديداً .
أأُلغيَ وجهي فما عادَ يعرفُهُ أحدٌ ؟

أم تكاثرَ في عصركم حدَّ ان لم يعدْ يتميَّز
عن غيرِهِ ؟

الشاب :
ألا تريدُ الآن أن تُخبرنا مَنْ أنت ؟

الشمر :
ما جدوى هذا ؟
إذا كان عصرُك يجهلُني
فالأوانُ إذنْ فاتني
والحسينُ استتبَّ لهُ الأمر
أما إذا كنتُ في عصركم
قد تكاثرتُ حدَّ التباسِ الوجوهِ عليكم
فقد فاتَني الأمرُ أيضاً
إنَّ شمراً سوايَ انتهى الآن من قطْعِ رأس الحسين !

شاب آخر
من القاعة : شمرُ بنُ ذي الجَوشنْ إذن ؟
الشمر : أفزعتُكم ؟؟
الشاب الأول : لا ..
لم تعُـدْ تُفزعُ يا شمرُ
فهذا العصرُ لا يحتملُ الفزعْ

الشمر : كبرتُم على أن تخافوا إذن .. ها ؟

الشاب الأول : كبرنا ..؟

نعم .. ربَّما

الشمر : نلتقي بعدَ يومين ..

آملُ أن نلتقي

وأنتَ بحجمِ ادّعائِكَ هذا

الشاب : ستَراني ..

إذا أنتَ لم تبتعدْ بطريقكَ عن حيِّنا

الشمر : لا تخفْ

لكَ عهدٌ بأني سأبحثُ عنك

الشاب : أما عناءُ البحث

فإنني أغنيكَ عنهُ يابنَ ذي الجَوشنْ

سوف تراني حيثما مضيتْ

الشمر : « متوعداً وهو يخرج »

سوف نرى

سوف نرى

الشاب : « منادياً »

يا شمر

يا شمر

الشمر : « يتوقف ويلتفت إليه »

الشاب : إذا كنتَ حقاً تحاول أن تلتقي بالحسينْ
لتقتلَه مرةً ثانيه

الشمر : « مقاطعاً »

بل لأقتلَهُ المرةَ الألف

الشاب : إسمعْ إذنْ
سأدلُّكَ أينَ تُلاقي الحسينْ
أمامكَ كلُّ نخيلِ العراقْ
ونهرُ الفرات الذي تتذكَّرهُ
إشهرْ سيفَك
إن كان لكَ الساعةَ سيفْ
واهْوِ به فوق رقابِ النخلْ
فإذا قُطعتْ
وتدحرجَ هامُ النخلِ جميعاً
وإذا انتشرَ الطَّلعُ على الأرض
خضيباً بالدَّم كحباتِ الياقوتْ
فجُزْ للفراتْ
ومُرْهُ بأنْ يسكُنَ الموجُ فيه
وان يتراخى لسيفِكَ بلعومُهُ
إذا قطعْتَ عنقَ الفراتْ

وأروُسَ النَّخلِ جميعاً يابنَ ذي الجَوشنْ
فعدها ،
تكونُ قد قتلتَ فينا الحسينْ

الشمر : هكذا ؟!

الشاب : لا تنسَ هذا ..
أروُس النخلِ جميعاً يابنَ ذي الجوشَنْ
فنخلةٌ واحدةٌ
تُخطُئها ،
يطلعُ منها الحسين

الشمر : هكذا ؟؟!
ما يمنعُني الساعةَ أن أقطعَ رأسكَ هذا ؟

الشاب : أرأيتْ ؟
أنتَ تحاولُ أن تمتحنَ الساعةَ خوفكْ
صرتَ تُجرىءُ نفسك كي تقطعَ رأس فَسيلةِ نخلٍ
إذهبْ يا شمر
واجعل خوفَك حجمَ الأرض جميعاً
عندئذٍ عُـدْ ..
سترى الحسينَ في انتظاركْ
لكنْ تراهُ مفعماً بكلِّ ماءِ الفراتْ

مُسوَّراً بكلِّ هذا النخيلْ

الشمر : « وهو يخرج »

الويلُ لكْ

« يخرج الشاب من المسرح »

« المعمدان ودليله يدخلان »

المعمدان :

ماذا ترى يا دليلْ ؟

الدليل : أبصرُ أكواماً من الرؤوسْ

أبصرُ خلقاً تقشعرُ منهم النفوسْ

رقابُهم مقطوعهْ

أرجلُهم في بِرَكٍ من دمِهم مزروعه

تجمَّعوا حول تلول الهام

يأخذُ كلُّ هامةً

يركزُها في عُنقِـهْ

ثم يسيرونْ ..

المعمدان : الى أين ؟

الدليل : الى أمامْ

هناك في الأفُقْ

ألمحُ رايةً على رابيةٍ مرفوعه
وكلُّهم يجتمعون حولها

المعمدان :

صِفْها

الدليل :

على ذروتها هلالْ
وحولَها تموجُ موجاً جثثُ الرِّجالْ
كأنَّما كَبَّر تحت ظلِّها بلالْ

المعمدان :

ما لونُها ؟

الدليل :

سمراءُ كالرِّمالْ
حمراءُ كالرمالْ
بيضاء كالرمالْ

المعمدان :

أسرعْ إذنْ

الدليل :

أينَ ؟

المعمدان :

التقطْ رأساً
وعدْ إليَّ

الدليل :

يا سيدي
رأسك ...

المعمدان :

هذا كلُّه رأسيَ
عجِّلْ قبلَ أن يفوتَنا الأوانْ
أدركتُها ...
أدركتُها ...
أدركتَ يا يحيى إذنْ بداية الطوفانْ !
أدركتَ يا يحيى إذن بداية الطوفان ...

« تمت »

من أين هدوؤك

هذي الساعة

قصائد مختارة

١٩٨٢

يا زمانَ المعجزاتْ

زمنٌ يأتي ،

يكون الصِدقُ فيه المعجزة

عبدالرزاق

الصّـــور

يدي جرحُ
ختمتُ به على الأفواه
مَنْ يملكْ نقاءَ الله
صوتاً ماحياً
يمحُ

برزتُ إليكَ من كفَني
بأوسعَ من مدى الصحراءِ جئتُكَ يا مدى الصحراء
أنا العازِْ
أنا الموتُ المؤجَّـلُ بينكم
لا بدء
لا آخـرْ
أجوبُ مزارع الأسماءْ
فتحتُ يدي على مصراعها ،
فانداح غارُ حراءْ
جرحاً زاخراً بالوحي والدمِ ،
أيُّها الغرباء

صوتُ اللّهِ هذا
إنفخوا في الصُّورْ
شُقّوا سجفةَ الديجورْ
وآنتشروا
فصوتُ الله
هذا الجرح
يُفرقكم
ويحمل بينكم قتلاه

تساقط جحفلُ الأسماءْ
كومةَ أحرفٍ مذعورةٍ بكماءْ
ختمتُ على حروف الخوف جرحي ،
فيسمّي جرحُ
ومَنْ يملكُ ثباتَ الله نصلًا ماحياً
يمحُ

سمعتُ بلالًا الحبشيَّ في ساحاتكم يصدحْ
رأيتُ سطوحكم راياتْ
وقيلَ بشارةٌ كَيدي على أبوابكم تُلمَحْ
فتحتُ يديَّ ،

ألهثُ جئتكم يا معشر الأنصارْ
أحملُ جثّتي والنّار
مليئاً بالنبوءة جئتُ ،
كلُّ ملامحي تنضحُ
ذُهلتُ
فلا صلاةٌ
لا مؤذّنَ قام
لا محرابْ
رأيتُ بلالًا الحبشيَّ منكفئاً على الأبوابْ
سرتُ تنوشُني الأحجارْ
مسيحاً كلُّ بابٍ عندها أُذبَحْ
حسيناً كنتُ مثلي أمس
مثلي كلَّ يومٍ آتْ
وكلُّ سطوحكم راياتْ
ركضاً يا بني أسدٍ
غداً تصلون
لكن ، لن تروا في الأرض مِن أحدِ

ليذكرْ كلُّ رامٍ بينكم حَجَرَهْ
أنا المرجوم
أحملكم معي حتى يسيلَ السَّيلْ

ستنتشرون أذرعةً من الأجداث مستعره
فينكر كلُّكم كفَّيه
ليذكرْ كلُّكم سيفَـهْ
ليذكرْ كلُّكم وَتَـرَهْ
أنا الطَّــوّافْ
على أبوابكم
لا رأس ،
لا أطرافْ
أحملكم معي تُـهَـمَـه

سمعتُ صلاتَكم تتوسَّلُ الأقفال لا تُفتَـحْ
وكفّي لم تزل حِرزاً على أبوابكم ينضحْ
خلعتُ يدي
ختمتُ بها
نظرتُ فلم أجدْ رايه
شمختُ بعنقيَ المقطوع عمقَ الجوِّ صاريةً
نشرتُ مكبِّراً كفَني
وأترككم عُراةً تطفحون على بمِ البيعَه
رؤوساً دونما أعلامْ
دموعاً ما تزال تسيل ،

تسقي تربة البيعه

وتحني رأسَها وتنامْ

أتركُ زيفَكم لينام

وختمُ يدي يظلُّ دماً على أبوابكم يصحو

ومَنْ يملكْ صفاءَ اللّهِ صدقاً ماحياً

يمحُ

أنا المسجونُ في أعماقكم ،

الشاهدُ الأبكَمْ

أنا الحدسُ الذي تخشَونْ

الرَّصدُ الذي قيعانُكم بعيونِـهِ تُختَـمْ

أنا الزرقاءُ فيكم يا يمامةُ فأفقأوا عينيّ

نشرتُ يدي أمامي ،

من هنا المعبَرْ

هنا جرحي

هنا أبديَّتي تُنشَرُ

تَعَرَّ الآن يا ثمرَ الخطايا ،

إنَّهُ المطهَرْ

وثبتُ ،

سقطتُ في جرحي

عميقٌ غَورُكَ المنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدمَ يا ممرَّ الحزن ،
بئرُكَ مُـرَّةُ الينبوعْ
تجهشُ ملأها الأرحامْ
تُعولُ ملأها الجثثُ
لقد ماتوا وما بُعثوا
فظلّوا يجأرون ..
غطستُ فيهم عمق ألفَي عامْ
وارتطمتْ يدي بالقاعْ

مَـمَـرُّكَ ههنا يوصَـدْ

أفقتُ ،
وكانتْ الصحراءْ
شفاهي الرمل ،
وجهي الرمل ،
الصحراءُ في جسَدي
رفعتُ يدي الى عينيَّ كانت صفحةً بيضاءْ

ودوّى ملء آذاني صراخُ وليدةٍ توأدْ

همَتْ يا قوتــةً في الرمل ،
وانطفأتْ
وجدتُ على يدي نُدبَــهْ
هويتُ كنخلةٍ عجفاءْ

حُـمِـاتٌ على الرُّغاء ،
على الــثُّغاء
على صهيل الخيل حولي تمضغُ الأرسانْ
رأيتُ يد البسوس تجوسُ في الأرحامْ
تشدُّ رقابَها قِـرَبا
على غلمانَ أشأمَ كلُّهم متكامل الأضراسْ
يأكلُ ثديَ مرضعتِـهْ ..

ضـمـمْـتُ أصابعي كي أمنع الدمَ أن يسيل ..

تعالت الأصواتْ
بُجيرُ ماتْ
بشسعٍ من نعال كُليبٍ

انتشروا انتشارَ الصوتْ
وقرَّبت النَّعامــةُ منك مربطها فقمْ يا موتُ
قم يا موتُ
قم يا موتْ

شددتُ يديَّ ..
كان الجرح يفتح بابَــهُ للريـحْ

ألا لا يجهلَــنْ أحــدٌ علينا ..
تجهل الأصنامْ
تأكل خيلنا ، ورماحنا ،
تجترُّنا وتنامْ ..

سقطتُ وراحتي مُرخاةْ
على هُـبَـلٍ تغطي وجهه ودماؤها تنضخْ

طريقُــكَ مِن هنا تبدأْ
تَسلَّــقْ ،
جرحُــكَ المعراج ،
أنت الحيّ .

عميقٌ غورُكَ المنقوعْ
ينزُّ الدمعَ والدمَ يا ممرَّ الحزن ،
بئرُكَ مُـرَّةُ اليذبوع
ظُلـمتُها تشلُّ خطاي ،
ترشحُ مثل ذوبِ القارْ
تلصقُ بي فأحملُها معي طوداً من الأوزارْ
أهوي كلَّما أبدأْ

تَـسلَّـقْ ،
جرحُـكَ المعراج ،
لا تعلَـقْ بثدي الموت ،
كُـنْ موتاً .

نشرتُ يدي غريقاً

أيُّها المذعورْ
لا تطفيءْ مهبَّ النّورْ
أنتَ الحصدُ والحاصدْ
المرصودُ والراصدْ
وأنت القادمُ الموعود

وضاءَ بغوريَ المُطفأْ
شعاعٌ كأندلاع البرق ، غاص بجرحيَ المنشورْ
وانطبقتْ يدي فصعدتُ يحملُني رشاءُ النورْ
كان محمدٌ يقرأْ

لُمحتُ أطير في جرحي
وكان محمدٌ والسيفْ
يسبقني
وكان محمد القرآنْ
يلمع فوقنا كغمامةٍ بيضاءْ

ألا مَنْ كان يعبدُ ..

لا تقلْ شيئاً .

ألا مَنْ كان يعبدُ ..

ليت هذا الصوت يسكتُ
ليتني أرتدُّ نسياً تعصف الصحراءُ في جسَدي
انهمرتُ

نزفتُ
دار الكونُ بي

مَنْ كان يعبـدُ ..

غامت الأصداءُ في رأسي
فإنَّ محمداً قد ماتْ
إنَّ محمداً قد ماتْ ..
وانكفأتْ يدي
فهوَيتْ

أنا الشاهـدُ
لقد بلَّغتَ ،
أشهدُ أنَّـكَ الموعود
أشهدُ أنَّـكَ الواعـدْ
ولكنْ مَـنْ لهذا الليلْ ..؟

تنَـزَّتْ تحتيَ الأعماق
سال السَّيلْ
أوردَتي بلون القارْ

تُرضعني نزيفَ القار
تختمُ خطوَتي بالقار
جذبتُ خطايَ لم أُفلتْ
نزعتُ اللحمَ عن قدميَّ حتى العظم
لم أفلتْ
نشرتُ يدي على لوحي
محوتُ
رقَمتُ

ذا سطري ،
أنا قدَري
ختمتُ يدي

نهضتُ بكلِّ أجنحتي أصبُّ دماً .

هذا أنا الصاعدُ منِ مَنابتِ الظلمةِ في حفيريَ القاتمْ
رقَمتُ لوحي
فأنا العارفُ غيبي
جسدي تأريخُكم
جرحيَ مئذنه
أحمل في كهوفها أذانيَ القادمْ
فلتفتحوا منافذاً للصوتْ

ها أنذا أُطلُّ من شُرفةِ جرحي مشتلًا للموتْ
فلتفتح الموتى قبورَها
ليعرفْ كلُّ ميتٍ موته في جسدي
فيحتملْ موتَـهْ

أعينُكم ترحلِ من وجوهها
فأدركوا عيونَكم

هذا أوانُ السَّيلْ
تبيَّنوا أحجاركم يا أيُّها الراجمونْ
تعرَّفوا على سيوفِكم ،
نبالكم ،
فقد عادَ بها المرجومْ

أسعى إليكم عنقاً دون رأسْ
أتبعُكم جذعاً على صليب
أفتحُ في قيعانكم عيناً كعَين الله
تبقى شاهداً أبكـمْ

وجوهُكم وَشمٌ على جلدي

نِصالُكم في جسدي تحجَّرتْ
فجرِّدوها
لِيُحدِّدْ كلُّكم رتبةَ موتِـهِ
ويصعدْ موجةَ الشهادةْ

إليكِ أسماءكِ يا مزرعةَ الأسماءْ
تحمَّليها
أو تهاوَيْ أحرُفاً تبحثُ عن ثقبٍ لتختفي
أنت الذي تغوص في خاصرتي
تفلَعُها
انجرِدْ لهؤلاء
هل تبصرُ رأسَ ابنِ أبي طالبْ ؟
خاصرتي غمدُكَ حتى تراه

مَنْ قال إني مصعبْ
فليتقدَّمْ حاسراً
يستلّ نصلاً من جبيني ثم يستشهد

في جسدي مزرعةُ الموتْ
يحصدُها ذو عنقٍ مقطوعةٍ

ينثرها ببذرَ ثورةٍ لألف جيلَ

لا تلمسوا أعناقكم
صاحبُها يعرفها دونَ لمس
يا حاملي شهادة الحلّاجْ
تحمَّلوا حدودكم عني
أنا خارطة الحجاجْ

مَنْ ينتصبْ منكم أبا ذرٍّ فيحضنْ موتَـهُ يُقدمْ
لكنَّكم لا ترصدون الموت

يا أيُّها الكهانْ
عروقُكم مرئيَّـةٌ
يزخُّ تحت جلدها كلُّ دم الأوثانْ
ألقوا مسوحَكم ،
وجهِّزوا لغزو الله ..

يا أيُّها الحشدُ من الأنبياء
لينتفضْ منكم نبيٌّ واحدٌ بوحيهِ

يُنطقْه شيئاً
أيُّها المستشهدون خُرسا

مدّوا أكفَّكم الى جيوبكم
واخرجوا منها يداً واحدةً بيضاء من غير سوءْ

أسأتم الموتَ كما أسأتم الولاده
تقدَّموا نحوي
لكم في جسدي شيءُ سوى الشهاده

أحملُ في الأجفانْ
بُحيره
شطآنُها الحشيشُ واللؤلؤ والمرجانْ
أمواجها الغلمانِ والجواري
فلتغرقوا أنفسَكم سلالةَ السلاطين

أشهدُ أنَّ موجها مرَايا
أشهدُ أنكم ستبصرون فيها أوجُهَ العبيدِ والسَّبايا
أشهدُ أنكم ستغرقون فيها
تتحطَّمْ

تتبعثرُ في شظاياها وجوهُكم
فينبثُ موتُها في جسدي
خارطةً جديده

أحملُها
أطوفُ في المزارع الوليده
أختمُ جرحي فوق كلِّ فـمْ
حتى يصيحَ صائحُ
يكسرُ ختمَ الدَّمْ

مقاضاة رجل أضاع ذاكرته

كلُّ مَنْ مات
أسقطَ عنّي وعن نفسِهِ عبءَ أن يشهد الآن
لي أو عليَّ
فإني أخافُ شهادةَ أمواتِكم
أرتضيكم شهودي
أنا المستباحةُ ذاكرتي
المؤجَّلُ من يوم مقتلِهِ رهنَ تحقيقكم
نُشرَ الناس
كلُّ القيامات قامتْ
وما زال منتظراً

أإذا جاء يسعى
نظرتم الى بعضكم ؟
ما الذي تُنكرون
ألـمْ تُبصروا قبلُ ميتاً يراجعكم ؟

ألفَ ميتٍ تركتُ على الباب

: بل واحدٌ يتكلّمُ عنكم
ولحظةَ يدخلُ في بَهوِنا
يُغلقُ البابُ من خلفِهِ
ثمّ يُقتلِ

دافعتُهم
وركضتُ الى سترةٍ كنتُ خبّأتُها
ثمَّ عدتُ كما الطير
أحمل نشوةَ موتي القديم
ودافعتُهم

: أنا عندي بطاقةُ موتٍ
عنديَ سيفٌ في خاصرتي
لا أملك مقبضَـهُ
لكني أملك خاصرةً فيها سيفْ
ورهيفٌ حدُّ النَّصل
وأحضنكم حدَّ تمزُّق أحشائي
زهواً في خاصرتي أحملكم
آهِ

ويقتلني زهوي
لكنْ .. يا حيفْ !

إنَّ عندي بطاقةَ زهوي
بطاقة موتي القديمةَ
يا مَنْ جعلتم من الموتِ منعَطَفاً
وجعلتم من الموتِ مختبراً للدموعْ
وكان الشهادةَ
تُمنحُ للمتخرِّج فيكم نبيَّاً

وصغَّرتم الموت
حتى تأبطت الناسُ أكفانَها
أفإن جئت أسعى نظرتم الى بعضكم ؟
إنَّه القتلُ عمداً
أرى جسدي موثقاً بين قضبانِ أعينُكم
وتقولون : شُـيِّـعـتَ
يخذلني الحبُّ حتى أوافقكم

وللمرَّةِ الألف يقرأ أسماءَ أمواتكم
لم يجدْ اسمه بينهم

مات من دونما شاهدٍ ؟
ليكنْ
سلِّموه جنازتَــهُ
ويوقِّــعُ ألا تكون علىٰ قبرِهِ أيُّ شاهدةٍ

وتركتُ على الباب ألفاً
قرأتُ عرائضهم كلَّها
كيف كذَّبتموهم ؟
كلُّهم سمعوا هاتفاً
كلُّهم أبصروا عَـلَـماً ضربَ الماءَ فآنشقَّ
قالوا تباركَ موسى

وخاضوا
فـمَـنْ سحَبَ العلمَ المستقرَّ من الماء ؟
فرعون ؟؟
أم ساورتْ ريبةٌ قلبَ موسى ؟

وقالوا خُـذِلنا
ودارَ بنا الموج
كلُّ المرافىء كانت تضيءُ

ولكنَّ أعيُنَنا نُذرتْ لفنارٍ من القلب تصعدُ
خفقةُ مصباحِـهِ
فهي تبحـثُ

ثمَّ سمعنا بأنَّا نُعينا الى أهلنا
فرجعنـــا

ونقطَعُ من لحمنا
ونُريهم دماً تتوهَّـجُ رغوتُـهُ
فيقولون :
لكنْ دُفنتُـمْ ..

كُسِرَ النابضُ فيك إذن
فتأرجحْ في الماء كما تهوى
لا تَخضعْ إلا لشروطِ اللعبةِ تلعبُها
أما الموت
فمسألةٌ أخرى
إنْ هيَ إلا أسماءُ

بل أنزلتم سلطانا

وحكمتم بالموت
ونفَّذتم اعلانا

وتركتُ على الباب ألفاً يلاحقني صوتُهم
: لا تَعُدْ قبلَ أن تتبيَّنَ
سَلْهم ،
متى يطلقون سراحَ جنائزِنا ؟

ها أنا الآن أسألُكم
ها أنا الآن أسألكم
ويعاتبني صدقُكم
ويعاتبُني الناسُ فيكم
ودربٌ قطعنا معاً
ويعاتبني أنكم خيرُنا رغمَ ما كان
ينكسرُ الغيظُ في راحتي غصُناً
كنتُ أشهَرُهُ لأصولَ عليكم
إذا مسَّكم
أورقتْ كلُّ أشواكِهِ
وإذا أخطأتْ
وخزَتني

ياما بحثتُ

أنا المستباحةُ ذاكرتي
عن دليلٍ لأسواقكم
لميادينكم

قلتُ أهلي
فما ولدَ الفَـطْـرُ في حائطٍ رجلًا .
وعرضتم ليَ الـيُـتْـمَ حتى انكسرتُ
وأنكرُ أن أُتبَنّى على كبَري
إنني شختُ حدَّ ابيضاضِ العيونْ

ونظرتم الى بعضكم
وَي
أصرُّ على تُهمةٍ أتلبَّسُها

صرتُ فيكم لقيطاً ؟
وقد كان مائي
وكان إنائي
وكان القميصُ الذي تنشرون خضيباً
قميصي

وأذكرُ أنّي ..
ولكنني لم أعدْ أتذكَّرُ
ذنبيَ أني نسيتُ على الدَّربِ ذاكرتي
قلتُ يعرفني الناس ..

أرتضيكم شهودي وإن كنتُ أجهلُكم
كلُّكم تملكون جراحاً
كلُّكم ستُدينونَني
غير إني أُحذّر أسرعَكم للأدانةِ
أني سأسألُهُ

ولقد كنتُ أملكُ أن أتهادى برأسٍ
أعلّقهُ فوق رمحي
وقيل انتصِفْ :
عنقٌ وسَّدتْها المقاديرُ سيفَكْ
إن هو إلا كما تطرفُ العين
تومىءُ للكتفين
فينزلقُ الرأس
تعدو به بطلًا

وتأمَّلتُ
ألفيتُ حنجرةً جحظتْ
واستطال من الخوفِ بلعومُها
لستُ أدري لماذا تذكَّرتُ أعناقكم فأرتعدتُ

وقيل انتصفْ
أترى ؟
إنني لم أُخيَّرْ
وها أنا أدخلُ وجدكَ يا حُرُّ
لكنْ من الطرفِ الآخر المتمزِّقِ
فاَغفرْ مكابرتي يا رياحيُّ
ما كنتُ أملكُ نفسيَ في حالتيَّ
لهذا أموت
وتملكُها
ولهذا تموتْ

وشتّان شتان ما بيننا
أن تطاردَ موتَكَ حتى تطوّعَهُ
ويطاردني الموتُ حتى يطوّعني

حين قدَّمتُ رأسي لهم
رفضــوا
قلتُ لا أدّعي عنُقاً لستُ صاحبَها
فأمنحوني بطولَة رأسي

ضحكواْ
قيل لولا تركتم أخاكم يمارسُ حربَ الطواحين

هل كان دربي طويلًا الى عصركم ؟

—

إنني لستُ أحمل ذاكرتي
وأنا مستقرٌّ على أن أُقاضى
فليفرشْ كلٌّ منكم ذاكرةَ البطلِ القادمِ من سيناء
وليَحشُ بعينيَّ قميصاً خضَّبهُ في الأردن
وليدمَـغْ وجهي بالعار
لأنّي لم أُقتَلْ في القدس
لأني لم أُقتَل في الخرطوم
لأني لم أُقتَل في كلِّ حروب الردَّة
ولأني لم أُقتَل وكفى

جئتُ من حيثُ جئتم جميعاً
ربما كنتُ منهزماً
لستُ أدري
فعند الهزيمـةِ
لا تسألُ الخيلُ فرسانها
ركضوا
وركضنا
طريقٌ قطعناه
كلُّ اتجاهاتهِ علّـمَـتْها الحوافرُ
مَنْ يدَّعي أنَّ حافرَهُ ملكَ الاتجاهَ الصحيحَ
الى الموت ؟

واقفاً بين أجساد قتلاكمو
أتـفـصَّـدُ خوفاً
ولم أُغمد السيف
أعلمُ أني حملتُ دليلًا عليَّ
لقد كنتُ أبحث عن شاهدٍ لمكابرتي

عندما وطأتني حوافرُكم وهي تركضُ تركضُ
في كلِّ مـتَّـجَـهٍ

أيُّها الناس ...

مَنْ يسمع الصوتَ في زحمةِ الموت ؟
الخيل تركضُ
والأرض تركضُ

يا أيُّها الناس ..
جرحاكمو
أهلَكم
جثثاً قبل يومٍ وقفتُم لها خُشَّعاً
تتقاذفهاً أرجل الخيل
فلـتَّـتقوا رَجِماً سوف تسألُ أعينُهم ..

كنتَ منهزماً ؟
ربَّــما
غير أنَّك لم تتحرك
أحاطت بك الخيل
نوديَ بالويل
صاحتْ بك الصائحاتُ ولم تتحرَّكْ
تكـلـتُـكَ

أيُّهما أصدقُ الآن ؟
هذي العيونُ الغريقةُ في دمها ؟؟
إنَّها جثثٌ وحَّدَ الموتُ فيها البطولةَ والجبنَ
والصدقَ والـ ..

حَملِقي فيَّ أيَّتها الأعينُ المستباحةُ حدَّ التألُّقِ
أيُّكما أصدقُ الآن ؟
أنتِ وصمتُكِ ؟
أم كلُّ هذي الحوافرِ تضربُ أذنيّ ؟

أيُّكما أجرأُ الآن ؟
مَنْ قال إنَّكِ لم تتفصَّدْ جميعُ خلاياكِ من خوفها ؟
تملكين لساناً ؟؟
إذن فآسكتي
إنَّهم يملكون

ولكنَّ موتكِ أنبل
سمعتُ اللهاث
رأيتُ الى العَرَقِ المتصبّبِ منهم يخالطُهُ عَرَقُ الخيل
كانوا صغاراً

صغاراً الى حدٍّ أني بكيتُ لهم
فتشرَّختُ

صار مداريَ شطرين
بينما برزخٌ للهزيمةِ
ثوبيَ شطرين
أُفردتُ بينهما عارياً
صار وجهيَ شطرين
شطراً لوى عنُقي لا يبارحُ أجسادَ أمواتِكم
وشطراً تطاير بين حوافركم
أأقولُ اعرضوا خيلَكم ؟
إنَّها دعوةٌ للشهادة تُعفَون منها
فقد ضاعت الخيل
أو نفَقَتْ

وأنـــا ؟
إنَّ لي شطرَ وجهي الذي ظلَّ عند الحدود
ربَّما غيَّرتْ جثثُ الميّتين معالمَهُ
ربما شاهَ
لكنَّـه الآن وجهي



حينماَ عدتُ
ألفيتُكم تولمون
وأبصرتُ نسوتَكم في الجوار
يطرّزنَ قمصانَكم
ثم يعرضنَها للصغار
انكسرْتُ على زهوِهم

وسمعتُ تفاصيل
مثلَ الأساطير
أصغيتُ
ألفيتُ نفسي وحيداً
غريباً
أضعتُ ولم ألتفتْ
بين أمواتكم
خُرجَ ذاكرتي . .

مصادرة منشور سرّي

— في جوازكَ حين عبرتَ الحدود
— هل عبرتُ الحدود ؟
— أنت محتجَزٌ للإجابة لا للسؤال هنا .
في جوازك هذا
لا علامةَ فارقةٌ فوق وجهك
الشَّعْرُ أسود
عينانِ صافيتان
وعمرُكَ ..
حتى تلاوةِ هذي السطور
ثلاثون عاماً .

هل عبرتَ الحدود بهذا الجواز ؟
— إذا كنتَ تعني
— عبرتَ الحدود بهذا ؟؟
— .. نعم
— أنت متَّهَمٌ للقرار بتزوير وجهِكَ أجمعِهِ
يُسمَحُ الآن أن تتكلَّم ما شئت
لكنَّما في حدود الدفاعِ عن النفس

— أطلب مرآةً أبصرُ فيها وجهي

— مرفوضْ .
نحن نبصرُهُ عنك
— لكنكم لن تروا منهُ ..
— إنَّا نقاضيك وفقاً لأعينُنا نحنُ
— معذرةً
سأحاولُ رؤيتَـهُ وفقَ أعينكم .

كان عمري ثلاثين عاماً
فأصبح خمسين
عيناي صافيتين
فأصبحتا مثلَ لون التراب
وشعريَ أسودَ
فآبيضّ

هل .. هذه صورتي الآن ؟

— وجبينُـكَ ؟
— ماذا بهِ ؟
— لو تحسَّستَـهُ
— هل تغضَّـنْ ؟؟

لا بأس

— صوتُـكَ ..

ما كنتَ ترفعُهُ هكذا

— كان يرفعُهُ بَين قصفِ المدافعِ فاْعتاد

— لا .

لم نكن نتكلم في حضرةِ النار

لكننا بعدما سكتتْ ..

— أنتَ متَّـهَـمٌ باعترافكَ للمرةِ الثانيه

— بالتَّمـرُّدِ ؟

لا بأس

أسألكم لحظةً أخلع الثوب

— تُمنَعُ كلُّ ضروبِ التعرّي هنا .

— إنَّ لي حرمةً تحت هذا القميص الممزَّقْ

شاهداً لم يُسجَّل بهذا الجواز

دفعتُ به رئتي ثمناً

وأتتنا أوامرِكُم تمنعون دخولَ الجراح

قيل يُستنطَـقُ الجرحُ حتى يعاف مروءتَـهُ

ثمّ يركل مثلَ النفايةِ

بعد إدانتـهِ

لوحة جانبية :

هل سلَّمتَ لمأمور المخزنِ خوذتك الحربيةَ ؟
صفَّ رصاصكَ ؟ قمصانَكَ ؟ جرحك ؟؟
ضَعْ جرحَك فوق الأمتعة الأخرى
وتسلَّـمْ إيصالًا .

تعمَّدتُ تهريبَـهُ تحت ثوبي
ما كان لي أن تروه فيؤخذَ متَّهماً
غير أني سأكشف عن وجهه الآن
ها هو ذا
تستيطعون إيداعَهُ السجن
لستُ أخاف عليه
فقد رسم ابني هويَّـتَـهُ في دفاتِـرِهِ كلِّها

فأنا الآن متَّـهَـمٌ بشهادة جرحي
للمرة الثالثة

في أذنيَّ ملايين الأصوات
مَنْ منكم يقدر أن يفرزَ صرخةَ محمودٍ جاري

عن صليةِ عشر رصاصاتٍ غاصت فيه من
البلعوم الى منتصف السُّـرَّةْ ؟

وحدي أملك هذين الصوتين معاً
أملك لحظة لا يبقى من صوت القاتلِ
إلا صوتُ المقتولْ
لحظة صار غيابُـكَ يا محمودُ حضوراً في كلِّ الساحات
وفي كل الأوجه
وحدي أملكُ صوتكما أنت وعشر رصاصاتٍ
في أذنيَّ مزيجاً .. غَـبَشـاً لا ينفصل الفجرُ عن الليل
ولا الموت عن الميلادِ ولا الثورةُ في جسدٍ
عن عشر رصاصاتٍ فيه يَشعشعُ منها الدم .

مَنْ يحمل عني هذي الأصوات ؟
مَنْ يخلعُ من أذنيَّ زعيقَ الجرحى وصفيرَ الرشاشاتْ ؟

ألقوا القبضَ على هذا الشاهد غيرِ المرئيّ إذن
وليُـستَنطَـقْ أطفالُكَ يا وطني

ولدي

يا ولدي الحاملَ عنِّي زهوَ دفاتِـرِهِ

كنتُ أدفع دبابتي في وجوهِ التماسيح
ملغومةً بالهلاهلِ
ملغومةً بالأهازيجِ
بالشِّـعـرِ
ملغومةً بالتي طَـوَّحتْ بعباءتها وهي تردسُ
« هَزِّيت ولوليت لهذا »

كنتُ « هذا » الذي زاحَمتْ فيه كلَّ الشماتةِ والموت
أدفع دبابتي في الجحيم
وفي أُذنيَّ عراضةُ أمّي تطوّح عبرَ المدى
بعبـــاءتهـــا
حجمَ موتيَ هذا أريدكِ أن تهزجي لي
أن تزرعي رايةً حجمَ موتي على سطح بيتكِ
ترفع للموتِ قامتَها

سجِّلوا أُذُنَيَّ شهوداً عليّ

أين دبابتي ؟

— لا سؤال .

— ذهبتْ هي أيضاً تدافعُ عن نفسها ؟

— لا سؤال .

— ولكنها شاهدُ في دفاعي

— قيد التَّرميم

إذا شئتَ أتيناك بها عامرةً

— هاتوها

أدخلوها هنا أتأمَّلُها

أتقرَّى مكانَ أُصيبَتْ لأجلي

أمرِّغُ وجهي على درعها

وسأسألـهُ

سوف ينطق مجرى دمي فوق قُـبَّـعَـةِ الدِّرع

ينهض محمود من قاعها

إنَّ محمود فاض على سعةِ القاعِ فيها

أنتِ أيتُها الأخت

يا شاهدي وشريكي

أعلمُ حين تجيئين

أنكَ لا تنكرين معالِمَ وجهي

كما يفعل الما رأوا كيف يتَّسعُ الكونُ في لحظةٍ

ثم يجمع إطرافَـهُ كلَّها في رصاصه

ما رأوا كيف تُلغي الوجوهُ معالمَها لحظةَ الموت
يلتبس الوجهُ بالوجه
حتى لَتُصبحَ دبابةُ رجلًا

ما رأوا كم يُغيّرناالموتُ أيتها الأخت
لكنهم غيَّروا وجهةَ الموت ..
هلم غيَّروا وجهة الموت
حتى لـيُنكرَ واحدُنا دربَ صاحبِـهِ

أيَّ شيءٍ تُرانا نقول إذا ما التقينا
فأبصِرتِ شعري قد ابيضَّ
عينيَّ لون التراب
وأبصرتُ وجهكِ يلمع مثل بنات الهوى ؟
أيَّ ذاكرةٍ سوف نوقظها بيننا
دون أن تتسلقَّ غربتُنا فوق كلِّ الحروف
وتلتفَّ حدَّ اختناق أعزِّ الحكايات ؟

أرفضُهـــــا .
تزوّرون شاهدي عليّ
ثم تسألونني أن أرتضيهِ هكذا

مزوَّراً
وتعلمون بعد ان أدخلتموها مصنعَ النسيان
أنكم سلبتموها كلَّ كبريائها

أُقسمُ أنها إذا رأتنيَ الآن
أشاحَتْ خجلًا بوجهها
أو أطلقت نيرانها عليّ

ـــ فأنت أسأتَ لها
ـــ قد فعلتُ
عبرتُ بها كلَّ نار الجحيم
وكنا معاً بآسم كلِّ الحضارات نضرب
كنا معاً بآسم كلِّ الذين سيأتون
نعبرُ نهرَ الجراح القديمةِ
نصنع معجزةً قدر ما يستطيع عريفٌ ودبابةٌ
أتقنا لعبةَ الموت

ويومَ أُصيبتْ
دفعتُ لها رئتي
مدَّ محمود من صدرهِ مَعبراً للرصاص على درعها

إنها تتذكَّر كيف قضينا نهاراً بأكملِهِ ننزف الدمَ
نحن الثلاثة
كنا ثلاثتنا لحظةَ الموت
نشعرُ أنَّا نخطُّ لبعض الذين سيأتون
أســـماءهم

بآسمِ كلِّ الحضارات
ألغيَ محمود
لم يبقَ منه سوى دفترٍ

يتدافعُ أطفالُهُ كلَّ شهرٍ بأبوابكم
بصَموا فوقَهُ عَـدَّ أرغفة الخبز
حتى ملامحهُم وُشمتْ بتواقيكم

بآسم كلِّ الحضارات أُفرغَ صَدريَ من رئةٍ
وأقرُّ بلا ندمٍ أنني لست أحتاجها الآن
في مثل هذا الهواء

بآسم كلِّ الحضارات رمَّمتم الآن دبابتي

بعد سَحبِ هوِّيتها

فهي خاويةٌ تستعدُ لكلِّ الهزائم

لستُ أعلم أيتُها الأخت إن كنتِ .. عذراً

ولو مــــرَّةً

تحسنين البكاء

وتقولون لي شَـعْـرُكَ ابيضً

أتَّهم الآن مائة مليون مستمعٍ لخطاباتكم

أنَّ أروسَهم لم تَشِبْ

أنَّ أعينُهَم لم تثبْ من محاجرها

أيها السادةُ الكانَ في وسعِهم كلُّ شيء

لو انَّ صواريخهم لم تقفْ في مدارِ الخيانةِ

أو انّهم ..

— هل سمَّيتَ مداراً للدوله ؟

— لا

— إيَّاك وأنصافَ الكلماتِ إذن

— مَنْ منَّا يتعمَّد أن يُخطىءَ فهمَ الآخر ؟

— لا سؤالْ .
وليكنْ ما تفوهُ به واضحاً
في حدود الدفاع عن النفس .
سنصحّح بعض السَّهوِ الواردِ في أقوالك
— أرفضْ .
إنهما مساحتان للضياء والظُّلمةِ لن ندخلَ
فيهمـــا معـــاً
أنا أعرفُ دربي الى البقعةِ السَّوف أدخلُها
لن تكونوا دليلي

أتَرون . لو انكم الآن تدعونني من جديدٍ
الى الحرب ،
أرفضُ ؟؟

هيهــــات
سأحارب حتى أقايضَكم كلَّ هذي الملامح
يهتف بي هاتفٌ :
لا تَـمُـتْ
وأموت
أفضِّـضُ أروُسَكم شعرةً شعرةً

كنت أحمل محمود ، والدم ينهلُّ من عشر شتلا نارٍ

بأضلـعِـه

أتوسَّـلُ في وجهِه

لا تَـمُـتْ

سوف تسألني عنك كلُّ عيون صغارك محمود ...

لكنَّه مات في لحظةٍ

كنتُ أخلع جسمي وأسحبُ محمُود

والنار تأكلُ دبابتي

أتخبَّـطُ مستوحَداً بين موتيهما

غير أنيَ كابَرتُ

كنَّا ثلاثتنا طَرفَ الدولةِ الما يزالُ يكابر

في المستشفى

قالوا ألغى الطرفُ الآخرُ للدولةِ كلَّ القتلى

ومحا أسماء الآتين جميعاً

لم أصدّق ،

لقد كنتُ أحسبُنا دولةً حين كنا نخطُّ على

بقعة الضوء أسماءهم

ثم صدَّقتُ ..

حين نظرتُ لأطفال محمود

صدَّقت

حين رأيت عيونَ رفاقيَ

صدَّقت

وحين وصفتُم معالمَ وجهيَ

آمنت

أني هنا طرفٌ

أننا حين كنّا هناك نقاتلهم

طـــرَفٌ

أنَّ أطفال محمود

دفتـــرهُ

طـــرفٌ

فأنا ما سميَّتُ مداراً للدولةِ

لم أخطىء فهمَ الطرف الآخر للدولة .

إنهما مساحتان للضياء والظلمة لن ندخلَ فيهما

معــــاً

— من أجلك أيضاً ...

— أرفضُ

أو .. لا أرفضُ

ماذا يعني أن أُسألَ عن هذا ؟

لو سُئلتُ غداة خرجتُ الى الموت

— هل كنت تختار ؟؟

— لا .

كنتُ أختاركم هدفي أوّلا

— أنت تقتل نفسك

— إني أُسهِّلُ فيَّ مهمَّتكم

أيها السادةُ التتبدَّلُ حتى عناوين أطفالهم

وحدودُ مدارسِ أطفالهم

دون أن تتبدَّل يوماً ملامحهم

إنني أتساءلُ

ما كان ليَ وأنا بين موتين

موتٍ تراقبني فيه أعينُ كلِّ الذين أخاف عليهم

شماتةَ مَنْ يشمتون

وموتٍ أُضافُ بهِ رقَماً في حساباتكم للهزيمة ؟

كنتُ أراقبكم تخلطون دمي بين ماءين
هذا نذرتُ له عطشَ العمر
جمَّعت أسماء أهلي على شفتيَّ
وهذا أحاذرُهُ
وأشــمُّ الخيانةَ
رائحة ابني ذبيحاً
وأوصال أهلي ممـوَّهـةً فيه

صار دمي خائناً وشهيدْ
كوثراً وصديد
وأنا أتساءلُ :
هل أردُ الماء
أم أتـجـنَّـبُـهُ ؟

حيرةٌ .. حيرةٌ .. حيرةُ العمر
بآسم الحضارة قدَّمتموني لمذبحها

إنكم أيُّها السادةُ الما تَبدَّلُ يوماً ملامحهم
قد بذلتم كثيراً لأجل الحضارةِ

أسماؤكم لن يمرَّ عليها الذين سيأتون
دون الوقوف على كلِّ أحرفها
يومَــها ،
سيسير بدبابتي كلُّ تأريخها نحوكم
يومها ستدور بمدفعها حولها دورةً كامله
قبل أن تدخل المعبرَ السهلَ خلف الحدود

ستكون البدايةُ أفضلَ ممَّا بدأنا
تكون البدايةُ أفضلَ مما ..
— نصُّ قرار التجريم
— تكون البدايةُ ..
— بأسم الدوله
صادرنا هذا المنشورَ السريّ
وأمرنا باحالةِ أذنيه وهذا الجرحَ المزعوم الى التحقيقِ
وإلقاء القبض على كلِّ الكلمات وكلِّ الأفكار المنقولةِ
عنه وغير المنقوله .
. . . . . .
— سيدي
إنَّ في الباب عشرين ألفاً
وجوههمو كلُّها وجهُ هذا !

من أين حدوثك
هذي الساعة

صوت :

لأنيَ فرَّقتُ في الناس لحمي
لأني حملتُ عذاباتهم
لأني تسمَّيتُ ياسمي

صوت :

لأنَّ المسافة بين الرصاصة والقلب ضيّقةُ
لأن الذي يقطع الدرب بين القتل وقاتلهِ
شاهدٌ وقتيلْ
صرتُ في زمني الشاهد المستحيل

صوت :

ملعونٌ مَن يمسك للقاتلِ جذعَ المقتولْ
ملعونٌ مَن يخدع إنساناً عن عينيهْ
أو عن كفَّيه
ملعونٌ مَن يأمن ذئباً في مرعىٰ
يا أولاد الأفعىٰ
ألفَي عام أبحث عن رأسي بين الأكتاف وبين الأرؤسْ
كم جسداً مثلي يسعىٰ

طفلة :

يا يوحنّا خذ منّي شفةً

طفل :

يا يوحنّا خذ منّي عيناً

صوت :

يا يوحنّا ..

أرشدْ كتفيَّ الى رأسي

كم جسداً مثلي يسعى

كم جسداً مثلي يسعى ..

منذورٌ هذي الليلةَ للأحزانْ

منذورٌ أفتح أبوابي لطيور الغربه

أمنح أهدابي لنعاس لا أعرف آخرهُ

موحَشَةٌ روحي

موحَشةٌ كلُّ جروحي

موحَشةٌ حتى الأرض التحضُنني الليلةَ

آهٍ من لحظاتٍ تسبق صحوتك الكبرى ..

منذورٌ هذي الليلةَ للقلق الأكبرْ

منذورٌ أن أختليَ الليلةَ بالموت
ويختليَ الموتُ الليلةَ بي
وأنا المبتورُ القدمين أعالج نقطةَ مرتكزي هذي الليلةَ
منفرداً

ممتليءُ بالصمت ، وممتليءُ بالمجهول
وممتليءُ بجميع الأشياءِ اللاممكنة الليلهْ

وحسبتَ بأنك تعرف
أبصرتَ الناس يموتون فأنت إذن تعرف
ماذا تعرف عن لغةٍ لا يتكلَّمها إلا موتك في هذا
الليل ؟
لو تملكُ يا مجذوم القدمين وقوفاً لحظتَها
لا تتأرجح أو تنكبُّ على وجهك
مَن يدري ؟
سيقولون من الخوف
يقولون من اليأس
وتعلمُ أنك منذورٌ وقبلتَ بنذركَ
والناس يقولون يقولون ..

لو تملك أن تركضَ للموت فتختصرَ الدربَ وتختصر الخذلانْ

منذورٌ هذي الليلةَ للأحزانْ
منذورٌ أُذبح هذي الليلة
فأنا أبحث عن قبلتيَ السأموتْ عليها
وعزيزٌ أن أُقتل بين الشكِّ وبين الأيمانْ

قيل انشرْ عينيكَ على الأفقِ الغربيّ
وترصَّدْ نجماً
إن صدق العرّافون نبوءتهم
يظهرْ هذي الليلةَ فوق الأفق الغربيّ

إذا انتصفتْ هذي الليلةُ فانظرْ
فإذا انحاشَ النجمُ الى زاويةٍ في الأفقِ
وأخلدَ مرتعشاً

وإذا الليلُ اصفرَّ فأبصرتَ سماءً من كبريتٍ
مغلقةً كالمعدن
تتصعَّدُ فيها أنفاسُ النَّومِ مثل دخانٍ أبيضْ
وإذا رانَ على كلِّ الأشياء نعاسٌ كالموتِ
فلا نأمةَ إلا خفقانُ النجم المذعورِ على الأفق

وإلا خبطُ جُذاذةِ ساقيكَ على الأرض
فوجِّهْ وجهكَ شطرَ الأفق الغربيّ
فقد صدقَ العرّافون نبوءتَهم
وسيظهر فصٌّ أسودُ
يسبح في وهجٍ أسودْ
فإذا أنشبَ عينيه بعينيك
فحدِّدْ حجمَ الموت المقبل
وتبيَّنْ قبلةَ ذبحكَ لا تُخطئْها
وتثبَّتْ أن تصبح سيّدَ موتكَ لا يسبقْكَ
فتُقتل مقهورا

أمّا إن مرَّ ولم يتلفَّتْ
فستستجدي عمراً آخر كي تلقاهُ
ولن تُمنحَهُ
تتوسَّلُ أن تُقتلَ
لا تُقتَلُ
أن تحيا
لا تحيا
فالويلُ
لك الويلُ

إذا أغفيتَ
إذا موَّهكَ الخوفُ
ودافعْ أن تتحدّى باليأسِ
صغيرٌ حجمُ الموتِ اليلعبُ لعبتَهُ حينئذٍ فيك

ولعلَّكَ إن تبصرْهُ تجدْ ليَقينِكَ مرسى
ولعلَّكَ لا تأسىٰ
أو تجد السَّلوىٰ
ولعلَّ ..
لعلَّ ..
لعلَّ ..
خدرتُ ،
وغُيِّبتُ عن قلقي ..
حين ينتصف الليل ..

بيني وبين انتصافكَ شوطٌ أموتُ به ألف موتٍ
وأحيا
وبيني وبين انتصافك صحوٌ
إذا عادني
فمن الضّامني أنَّ كفّيَ لن تتراعش بالكأسِ

حتى لأرتاب أني سأشربها

هلَعٌ تتحدث عنه عجائزُنا بالهمس ، وبالأيماء
وإذ يُسألنَ
يبسملْنَ ويطرقْنَ الأعينْ

ضحكتْ منكنَّ صبايانا
ورأيتُ بأعينكنَّ سياطاً
ورأيتُ الى البسمات تفرُّ الى الأطرافِ
فتغدو حركاتٍ متشنِّجةً خجلىٰ
وقرأتنَّ دعاءً ،
واستغفرتُنَّ لنا نحن الأغرارْ
نحن الما أبصرنا النجم الدمويَّ فما نعلم ما يعني نجمٌ
دمويٌّ يظهر في الأفق الغربيّ

من أين هدوؤك هذي الساعه ؟

لو كنتَ تمدَّدتَ مع الزمن المتبقي من عمركَ طولا
لترهَّلتَ إذن واتَّسعت كلُّ خلاياك
فما أحسستَ بما ينفذ في لحمك

ترفض أن تقطع عمرك إلا عمقاً
ليكنْ
وتأمَّلْ سكّينَكَ كيف تقطّع كلَّ شرايينك وهي
تغوص الى آخر لحظات العمر

من أين هدوؤك هذي الساعةَ
أنت المترصّد موتكَ
أو سبباً يجعل موتك أنضج في عينيك

ـ أيُّها الرجلُ المبتلى
نذر الناسُ نجماً
وأنت نذرت لنجم
وبينكما ليلةٌ .. أنت تعلمُ

ـ أعلمْ ..

ـ عقدوا الخيطَ سبعاً
وإذا رفعوا عنه أيديَهم
حلَّتْ العُقَد الستُّ أنفسَها
أنت تعلمُ

ـ أعلمُ
ـ فانظرْ ، فبينكما ليلةٌ
ـ هي كلُّ المدى
وما بيننا عقدةٌ
هي كلُّ المدى

بالنَّواجذِ حاولتُها
قلقُ العمر جمَّعتُهُ في أظافرِ كفَّيَّ ..
ـ ندري
ـ وكنتُ بصمتي أدافعُ
ندري ،
ولكنَّها ليلةٌ

ـ آهِ ..
من يملك الصَّبرَ لوزتُهُ جحظت حولها عقدةٌ ؟
آهِ من يملك الصمتَ منذبحاً بين نجمينِ
كلٍّ يُمنّيه موتاً ؟

وفي كلِّ يومٍ
أصوّرُ نفسي ميتاً على هيأةٍ

ثمَّ أرفضها

أفأحمل قبري
أطوف بهِ
أسأل الناس
يا من يفصِّلُ لي ميتةً ؟

أيُّها الجسدُ الربُّ
هذي يدٌ أنكرتها جميعُ النبوءات
تضرعُ أن تتقبَّلَها

إنني أتلمَّسُ أطرافَ كلِّ المسامير في لحمكَ الحيّ
فامنح يدي جرأةً أتلمَّسُ نفسَ المواضعِ في جسدي

أنا أعلم أنَّ المسامير في جسدي سوف تصدأ
أعلمُ أنّي أرفرفُ ثانيةً ثمَّ أهدأ
لا لحمَ يبقى
ولا رسمَ يبقى
وأنت هنا منذ ألفين يا سيّدي
كلَّ ليلٍ يُظلِّلكَ اللحم

حتى إذا أصبح الصبحُ تعرىٰ
منذ ألفَين تؤكَلُ يا سيدي صامتاً
أفما آنَ أن تغضب الآن ؟
أن تصرخ الآن ؟
أنِ تتغيَّر هذي الرسومُ التي أسلمتكَ الى
الصمت أن ...

- أيُّها المتأرجح في مَدْرج الموت ،

هل أنت وحدك ؟
- مَن سائلي ؟
- إن يكن معك الآن من شاهدٍ
فليقوّمكَ

- ليس معي غير نفسي
- تجنَّبْ إذن .
يتقدم من جاء يسعى بشاهدهِ

- أيها الصوت
يا لغةً شابَ رأسي عليها
يا نداء الدروب التي ضيَّعتني
يا لغةً قتلْتني

كنت أنت لي شاهداً

أنت ترفض أدري

وما كان لي أن أرى عنقي تلتوي هكذا

جئت أحمل جلدي

لقد وشمَ الموتُ حتى منابتَ أظفارهِ

أفتغني شهادَتُه ؟

جئتُ أحمل عينيّ

تعلمُ أنهما ابيضَّتا فرط ما حملق الموتُ فيَّ

وحملقتُ فيه

أيغني حضورهما ؟

ومعي جعبةٌ ،

منذ قالت ليَ امّي بأن الأظافر تشهدُ يومَ القيامةِ

جمَّعتُها إظفراً إظفراً

أفتغني شهادتُها ؟

أيُها الصوت

يا أيُّها الـ ...
هكذا ؟؟
فأنا لستُ أملك حتى بأن أدَّعي حقَّ موتي ؟

كان لي عَدَّ نبضي شهودٌ
وما أثبتوا أنني كنتُ أحيا
مَن يُعير الذي يبحث الآن عن موتهِ شاهداً ؟

يا يحيى
تملكُ عَدَّ مَنابتِ شعر الرأس شهوداً
فاتركْ رأسكَ لا تبحثْ عنهُ
فلو عاد الى أكتافكَ
تنكرهُ الساعةَ
تَسأل أن يُقطعَ
تُسأل أن تُحضر شاهدَ موتٍ
يا يحيى دعْ رأسكَ
يا يحيى دعْ رأسكَ
يا يحيى دع

ها هي الكأس تهمي

وما زلتُ في أوّل الليل

أيَّ الدروب سلكتَ فلم تُعطِ موتكَ فرصةَ أنْ
يتخيَّر يا سيدي ؟
أنت أترعتَ كأسك
لم تنهمر قطرةُ
وأنا ،
نصفُ كأسٍ وفي أوّل الليل تهمي
والمسافةُ يا سيدي جدُّ شاسعةٍ
هي مرتكزي
وهي منتصف الليل
والكوكب الدمويُّ الذي
والذي ربَّما ..
والهواجسُ يا سيّدي
كلُّ هاجسةٍ أمدٌ
كلُّ هاجسةٍ عِدْلَ دهرٍ من الموت
أيَّ الدروب تخيَّرت فاختصرتْ لغةُ الموتِ
فيك تفاصيلَها ؟

يَتُها الكأس

محكومةٌ أنتِ أن تُشربي للقرار
فلا ترجفي
يَتُها العين لا تطرفي
ندفع الخوفَ بالموتِ
أو ندفع الموتَ بالخوفِ
تلك قضيَّتُنا نحنُ
كلُّ النبوءات عاجزةٌ أن تسمّي ميتاً بلا شاهدٍ
فأنا مُرجأٌ
مرجأٌ أن أعيشْ
مرجأٌ أن أموتْ
مرجأٌ
مرجأٌ
مرجأٌ

أيُّها الميتون بلا شاهدٍ
تُرفضُ الآن ميتتكم
فاحملوا فضلَ أكفانكم
واتبعوني لمنتصف الليل هذا
ثم موتوا شهوداً على بعضكم

أيها الميتون بلا شاهدٍ
إتبعوني لمنتصف الليل هذا
إتبعوني لمنتصف الليل هذا ..

في نهاية الأربعين

مضى ما مضى منكَ خيراً وشَرْ
وظلَّ الذي ظلَّ طيَّ القِدَرْ
وأنتَ على كلِّ ما يزدهيك
كثيرُ التَّشكيّ ، كثيرُ الضَّجَرْ
كأنَّكَ في خيمة الأربعين
تُخَلِّعُ أوتادَها للسَّفَرْ
وتجمعُ للدَّربِ زادَ المُقِلِّ
كفافَ المنىٰ ، وطويلَ السَّهَرْ
على أنَّ في قلبكَ المستَفَزّ
جناحاً يغالبُ أن يؤتَسَرْ
وفيكَ وإن لم تَفُهْ صيحةٌ
يطول مداها ولا يُختَصَرْ

●

مضى ما مضى منكَ والقادمات
تضيء قناديلَها للكِبَرْ

رويـــــداً تُثَقِّـــــلُ تلـــــك الخطى
وتثـــلمُ شِـــرَّةَ ذاك البَصَــــــرْ
وشيئـــــاً فشيئـــــاً تحـــول الحيـــاة
شـــريطـــاً بـــدأنـــاه عنـــد الصِّغَـــرْ
حيـــاديَّـــــةً غيـــــر بعض الهمـــوم
رمـــــاديَّـــــةً غيـــر بعض الصـــوَرْ
وأنت تُعـــــــــاصي وغيمُ السنين
عليـــــك لأمطـــــارهِ مُنهمَـــــرْ
وكم ذا تكـــــابـــــرُ والأربعـــــون
ذرىً كـــلٌّ مـــا بعـــدَهـــا مُنحـــــدَرْ؟
أأوجـــــــعُ من أن يضـــــجَّ الحنين
بقلبـــــكَ حتى لبـــــؤسٍ غبَـــــرْ؟
وأنـــــــكَ يـــــــا أقلقَ المتعَبين
تُـــــرىٰ خـــــاليَ البـــال حـــدَّ البطَـــرْ
وأنـــــكَ تضحـــــك للمبكيـــــات
وأنـــك تصفـــو بـــرغم الكـــدَرْ
ومـــاذا ســـوى هـــذه البـــارقـــات
يـــرىٰ منـــكَ إذ يلتقيـــكَ البَشَـــرْ؟
على أنَّ أوجـــــعَ كـــلٍّ الهمـــوم
أن نـــألفَ الهمَّ حـــدَّ الخـــدَرْ

وذروةُ مــــــأســـــاتنـــــا أنَّنـــــا
نَســـــرٌ ولكنَّنـــــا لا نُسَـــــرْ
وليس لفضـــــلٍ لنـــــا مَحْمَـــــدُ
وليس لـــــذنبٍ لنـــــا مغتفَـــــرْ

●

مضى مـــــا مضى ، غيـــــر أنَّ الحيـــــاة
لهـــــا فيـــــكَ رأيٌ بعيـــــدُ النظَـــــرْ
فـــــإنْ بـــــذَّرْتـــــك سنـــــونٌ مضتْ
فـــــأنت لمـــــا بعـــــدهـــــا مُـــــدَّخَـــــرْ
وإنْ جـــــرَّحَتْ منـــــكَ مـــــا لا يُـــــرى
صـــــروفُ زمـــــانٍ كثيـــــرِ الغيَـــــرْ
فيـــــا طـــــالمـــــا جـــــرَّدْتـــــك الهمـــــوم
فكنتَ على المـــــوت مـــــوتـــــاً ذَكَـــــرْ
ويـــــا طـــــالمـــــا دقَّ مـــــرمى خطـــــاك
على هـــــدأةِ الليـــــل حتى اقشعَـــــرْ
وإذ كنتَ تعبـــــرُ كـــــان الغُفـــــاة
يـــــرونـــــكَ جـــــرحـــــاً كبيـــــراً عَبَـــــرْ
كـــــأنْ حُلُمٌ مـــــرَّ، لـــــولا الصبـــــاح
تُشعشـــــعُ أضـــــواؤه في الخُثَـــــرْ

وينتصر الفجر، تطوي الجناح
على نازف في الضلوع انتصَرْ
كذا أنتَ مستشهَدٌ مهمَلُ
ولكنَّهُ عمرهُ ما كفَرْ!

مضى ما مضى، لا نهتْكَ النُّهاة
ولا آمرٌ حيث تسعى أمَرْ
مروءتُكَ العلَّمَتْ وحدَها
مسارَكَ، والأمَّنَتْ مِن عَثَرْ
يكحِّلُكَ الفجرُ حيث انفطَرْ
وتعتمرُ الليلَ حيثُ اعتكَرْ
وتبدو أنيساً لكلِّ الحتوف
وتبدو أليفاً لكلِّ الغِرَرْ
وتسعى الى الحيفِ إنّى أناخ
وتحتمل الوزرَ أنّى وزرْ
ويشتجر الغيظُ في جانحيك
بلى كلُّ غيظٍ له مشتجَرْ
ولكنَّ غيظَكَ صعبُ المراس
له بين كلِّ الخلايا شرَرْ

وتعلمْ أنــــــكَ جئتَ الحيـــــــاة
كثيـــــرَ التحـــــدّي ، قليـــــلَ الحـــذرْ
وأنـــــكَ والـــدهـــرُ حـــربٌ عليـــك
جـــــررتَ على النفسِ مـــــا لا يُجَـــرْ
أجَـــــزْتَ الــــذي عمـــرهُ لم يُجَـــزْ
وأهـــدرتَ مـــــا عمـــرهُ مــا انهـــدَرْ
وشـــــــابكْتَ حتى دَميتَ وحتى
تـــــركتَ على كـــــلِّ وجـــهِ أثَـــرْ
ويـــــا طـــــالمــــا لعقَتْ مُـــــرَّةُ
دمـــــاكَ فـــــألْفَتْـــكَ منهـــا أمَـــرْ
بلى عِبــــــرةً كنتَ ، حتى الجنـــــــون
تنـــاهىٰ ، ولا مـــــا نهتْـــكَ العِبَـــرْ
نـــــذرْتَ لكـــــلِّ زمـــــانٍ دمـــاك
فقـــلْ لي زمـــانُـــكَ مـــاذا نـــذَرْ؟
وهــــــل ســــــألَ المـــاءُ في راحتَيـــك
عُمَيـــــر الـــــذي يستقي أم عمَـــرْ؟
وهـــل كنتَ يـــومـــاً سوى مـــا تشـــاء؟
وهـــــل شئتَ إلّا الـــــذي لا يُقَـــرّ؟
مفـــــــارقـــــــةُ أيُّهـــــــا المبتلىٰ
بـــــأن لا يُفـــــادَ وأن لا يُضـــــرّ

مفـــــارقـــــةُ أن تكـــون الطـــويـــل
وكـــلُّ أيـــاديـــكَ تشكـــو القِصَـــرْ
مفـــــارقـــــةُ أنّـــكَ المبتـــدا
وأنَّ جميـــع الـــرزايـــا خَبَـــرْ

●

بلحمـــكَ دَثَّـــرتَ عـــريَ العُـــراة
وتعـــرىٰ فتبقىٰ بـــلا مُـــدَّثَـــرْ
وتسقي دمـــــاً ، أيَّ جـــــدبٍ ألَمَّ
وجـــرحُـــكَ من نخـــوةٍ مـــا زَخَـــرْ ؟
وتظمـــا فتستـــافُ كـــلَّ الـــرِّمـــال
ولا وِرْدَ ، حتى ظمـــــاكَ اعتـــــذَرْ
مكـــابـــرَةً تفعـــلُ الـــلايُطـــاق
ولستَ على فعلـــــهِ مـــــؤتجَـــرْ
مكـــابـــرةً صنتَ مـــا لا يُصـــان
وبـــذَّرت مـــا لم يبـــذِّرْ بشَـــرْ
مكـــابـــرةً أيُّهـــا المقتفي
رَداهُ كـــأنَّ المنـــايـــا وطَـــرْ
وهـــا أنت أتعبتَ كـــلَّ الـــدروب
وهـــا أنت ألهبتَ كـــلَّ الغُمَـــرْ

وهـــا أنت صـــاحبٌ بـــك الصـــائحـات
وشـــدَّتْ علـ كـــلِّ قـــوسٍ وتَـــرْ
تحَيَّـــرتَ في رَهَـــجِ الحـــادثـــات
مـــاذا تُبقّي ، ومـــاذا تَـــذَرْ
وهَبْـــكَ اتَّقيتَ جميـــعَ السِّهـــام
فمن سهمِ نفسِـــكَ أين المَفَـــرْ؟
وتبقىٰ ونفسُـــكَ نفسُ الكـــريم
لهـــا حين تـــزجـــرهـــا مـــزدَجَـــرْ

●

بلىٰ ، كـــلُّ مـــا تُنـــزل النـــازلات
تحمّلُـــهُ الأرضُ بـــرداً وَحَـــرّ
وفي المـــوت صبـــرٌ ، وأمّـــا على
ســـواهُ فمستضعَفٌ مَن صَبَـــرْ
ومـــا كـــلُّ بـــرقٍ تجلّى أصـــاب
ولا كـــلُّ غيمٍ تَـــدلّى مَطَـــرْ
فيـــا حـــرقـــةً مـــا لهـــا منتهى
ويـــا قلقـــاً مـــا لـــهُ مستقَـــرّ
بـــذَرْنـــا وهـــذا أوان الحصـــاد
وكـــلُّ امـــرِيءٍ حـــاصـــدُ مـــا بـــذَرْ

وليس لنـــــا مَطمـــــعٌ بـــــاليجيء

ولا نـــــادمين على مـــــا بـــــدَرْ

ولا قـــــائلين لمـــــا فـــــاتنـــــا

تمهَّـــــلْ .. ولا نـــــادبين القـــــدَرْ

ولكنَّنـــــا نـــــرقبُ الـــــذاهبـــــات

وألفُ ادِّكـــــارٍ لنـــــا يحتضَـــــرْ

فيـــــا دوحـــــةً صـــــوَّحَتْهـــــا الـــــرِيـــــاح

فـــــلاحت كمـــــا لا يلـــــوح الشَّجَـــــرْ

خـــــرافيـــــةً ، هـــــائـــــلًا جـــــذعُهـــــا

ولا غصنَ ، لا ورقٌ ، لا ثَمَـــــرْ

ولكنْ تَبَـــــزَّلَ فيهـــــا اللِّحـــــاء

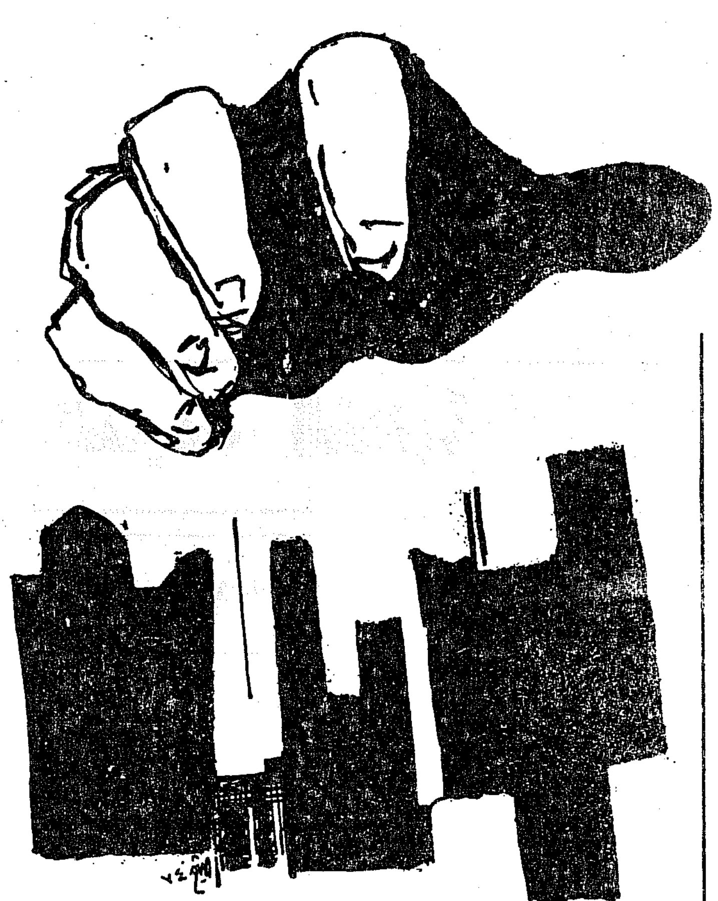
وأطلـــــعَ من كـــــلٍّ شـــــرخٍ قمَـــــرْ

لـــــكِ اللّه ، كم تمنحين الحيـــــاة

ويـــــرميـــــكِ بـــــالعقـــــم أعمـــــى بَصَـــــرْ !

الخيمة الثانية

١٩٧٥



ويا وطناً له غنَّيت
كالعصفور
أرجفُ في الصَّباحات الشتائية
وأنشدُ تحتَ رايتهِ

عبدالرزاق

مواســم

جِئْتُ في موسِمِ الطَّلعِ
أسألُكُم حبّةً تَصْدقُ الوعدَ
أحملُها مهرجاناً لعُقمِ النخيلْ
عَرضَتْ لي سِباخُكمو كلَّ أملاحِها
وحَلفتُم
عدتُ منكسراً ،
واعتذرتُ لَكُم عند أهلي

جِئْتُكُم موسِمَ الملح
قلتُ الصغارُ يَشبّون
تطحنُ أضراسُهم كلَّ شيءٍ
وأخشى عليهم طعاماً قليلًا مروءتُهُ

فامنحونيَ مِلْحاً
ملأتُم جيوبيَ بالطَلْع !

أعلمُ أنَّ الدماءَ مواسِمُ في أرضِكُم
ربَّما صارَ طلْعُ النخيل دَماً
واستحال الدَمُ المرُّ طَلْعاً
وما أثْمَرَ الطَلْعُ فينا
ولا أثمرَ الدَمُ فينا
وظلَّ اتفاقُ مواسِمنا مبهَماً

لا تقولوا طريقُكَ يُفضي الى الموت
أعرفهُ
وأعرفُ أنكمو
تُفسدون عليَّ مروءةَ موتي

النذير

كلّما احترقَتْ عُشبةٌ
رَجَفَتْ كلُّ أروقَةِ الأرض
أنَّ مسامةَ حبٍّ ستغلقُ في لحظةٍ بابَها
أنَّ قطرةَ ماءٍ تدورُ على نفسِها الآن مهمَلةً
وتعودُ لتقبعَ في مخزنِ الموت

يا عصرَ كلِّ الحرائقِ
والأنهُرِ التائهاتْ
هيّء الفُلك
واضمَنْ لِنوحْ
مَنْ يُصدّقهُ
إنَّ طوفانَكَ الغدَ آتْ
إنَّ طوفانكَ الغدَ آتْ

تنهض بين الحقائق

متعَباتٌ خطاكَ الى الموتِ
مَهمومةٌ
يا حسينَ بنَ مردان
لكنْ تُكابرُ
أيقظْتَ كلَّ الملاجيء
فانهزمَتْ
مَنْ يشاركُ مَيْتاً منيَّتُه يا بنَ مردان ؟

مُنجرداً وحدَك الآن
يُحشَرُ هيكَلُك الضَّخْمُ في ضَنْكَةِ الموتِ حشراً
وأنت تكابرُ ،
كلُّ المياهِ تعثَّرتَ فيها لتُطفىءَ خوفَكَ
فاشتعلَتْ

موحَشاً كنتَ
مستوحَداً
تتنازلُ عن كلِّ أرقامِكَ المُستباحةِ
تُسْقِطُها
واحداً
واحداً

الطريقُ الى الصِفْرِ مَعجزةٌ يا بنَ مردان
أنْ تملكَ الدربَ وحدَك
تمتلك النَّدمَ المتَفرّدَ وحدَك
أنْ تلتقي والذي خِفْتَهُ العُمر
تدخلُ دهليزَهُ

إنها لحظةُ الكشف
وحدَكَ تملكُ أن تسمعَ الآن
وحدَكَ تملكُ أن تَتنقرّى
ووحدَكَ تُبصر

تَعلَم وحدَك إن كان للخَطوِ مُرتَكزُ
حين يفتقدُ المرءُ أقدامَهُ
حين يفتقدُ الأرض

تلك خصوصيّةُ الموت

تملكُها الآنَ وحدَك

تحبو إليكَ المَجاهيل

تَنهضُ بين الحقائقِ

عُريان

مُنْخَلِعاً عنكَ كلُّ ادِّعائِكَ

إنَّ الطريقَ الى الصِّفْرِ معجزةٌ

إنّهُ الخوف

عمرَكَ وطّنتَ نفسَكَ أن تألَفَ الخوف

لكنَّ حجمَ الذي أنتَ فيهِ

يُحطّم كلَّ القياسات

يُسْقطُ كلَّ المَعابرِ حيثُ التَفتَّ

سوى مَعْبَرٍ يَشْرَئِبُّ الى يومَ كنتَ صغيراً

تلوحُ به حافيَ القَدَمَين

مُهدَّلةً ياقةُ الثوبِ منكَ

تَمرُّ عليهِ الوجوهُ التي

والسنينُ التي

والنساءُ اللواتي

وتأتي حسينَ بنَ مردان مُنسَدلَ الشعرِ لِلكَتِفَيْنِ
عَصاكَ الغليظةُ تضربُ بين ديالى وبغداد
تصعدُ مِعراجَ قوسِكْ
كانت عموديةَ المُرتقى كلُّ أقواسِنا يا بنَ مردان
تَذكُرُ كيفَ تقبَّلَنا الموت ؟

أسماؤنا كلُّها ذاتَ يومٍ عَقَدنا على شجرِ الموتِ أجراسَها
وانتظرْنا الرياح
وكانت تهبُّ الرياح
تهبُّ

أكُنّا نبالغُ ؟
أمْ أنَّها سنواتُ البطولةِ
ينكسرُ المرءُ مِنْ بَعْدِها سُلَّماً
ثم يزحفُ للخوف ؟

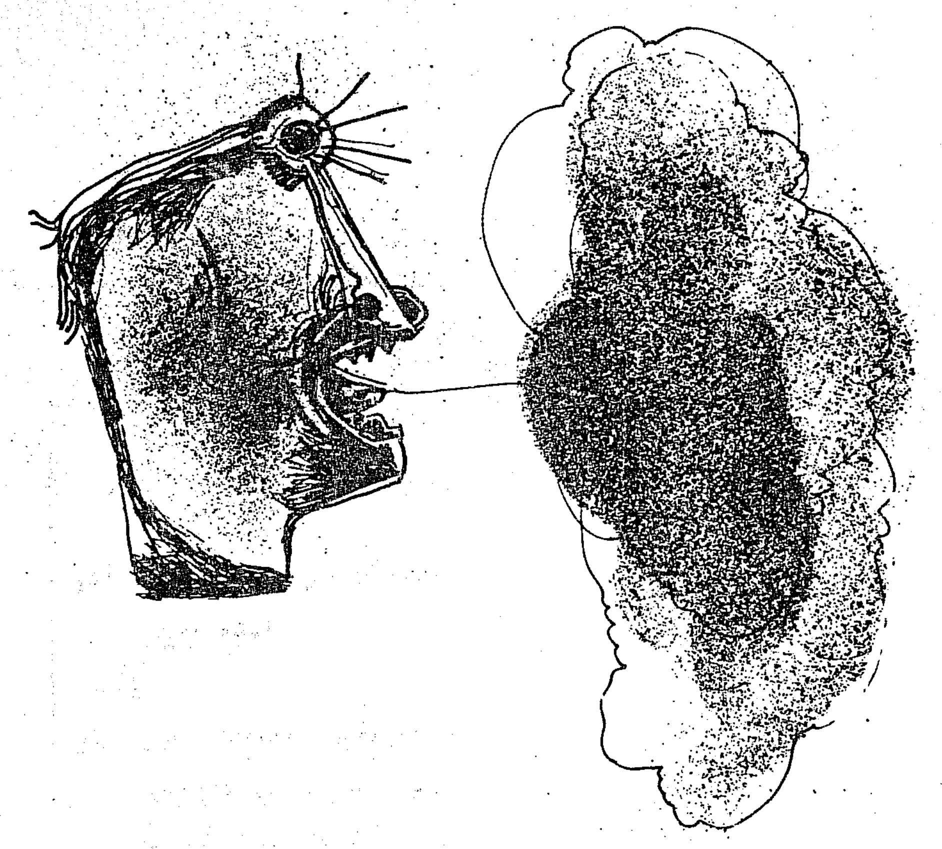
تذكرُ كيفَ تَقَبَّلَنا الموت ؟
ما تَصفِرُ الريح
إلّا ويَسمعُ واحدُنا رنَّةً باسمِهِ
ثمَّ يمضي
ولكنَّها سنَواتُ الرِّضا يا بنَ مردان
البَشرُ الماءُ يعقدُ أجراسَه في مَهبّاتِ كلِّ الرياح

ويَختبيءُ الجَرسُ الموت
أصغرُ أجراسهِ الجرَسُ الموت

أفنَيتَ عُمرَك تُحكِمُ تعليقَهُ
وتُوَسِّعُهُ
ثمَّ تُوسِعُ حِملاقَ عينَيك فيه
فتَفزع

ماذا جنَيتَ ابنَ مردان ؟

طفلًا لَهَوتَ بدُميةِ عُمْرِكَ
طفلًا سَئِمْتَ تحَطّمتَها
حلُماً عِشْتَ أن صرتَ مستوظفاً
حلُماً كانَ أن تشتري بدلةً
حلُماً أن غدَوتَ
ولو مرّةً
دائناً لا مَديناً
ولكنّهُ يا بنَ مردان دَقَّ
ولم تتَّسِخْ بعدُ أكمامُ بَدْلَتِكَ الحُلْم
دَقَّ ،
وما زال دَينُكَ ما حانَ مَوعدُ إيفائِهِ



دقَّ ناقوسُ موتِكَ
يا أيُّها الامبراطور
يا أيُّهذا الموظفُ من قبلِ شهرَين

(*) كان يحلو لحسين مردان أن يسمي نفسه دائماً « امبراطور الأدب » .

الطـــارق

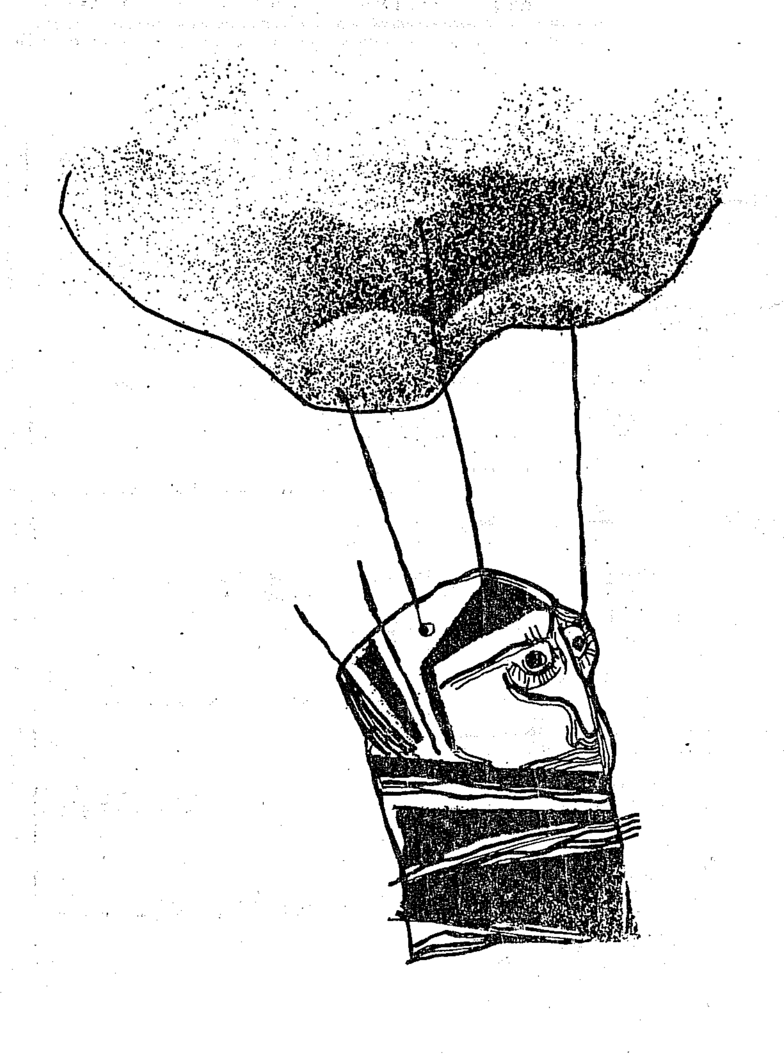
وهَا أنتَ تجتازُ خوفَ المُحبّين
تَمنحُ وعداً
أُصدّقُ
إني رأيتُ العصافيرَ تَنقرُ بعضاً
وتسقط في ساحةِ الدار
أبصرتُ كفَّ ابنتي ذاتِ عامَين
تحملُ مكنَسةً
فتوقَّعتُ ..
مَنْ طارقي ؟
المُحبّون غلَّقَ أبوابَهم خوفُ أن يَصدقَ الشكُّ
منْ طارقي وأنا محضُ نفسي ؟

علامةَ أني يَئستُ
تَحدَّيت
أني أخافُ
تَصدَّيت
قلتُ امنَحوني ولو كَذِباً أيَّ وعدٍ
فلم يطرق الوَعدُ بابي
وها كفُّ بنتي تُقلّب مكنسةً
والعصافيرُ تَنقرُ بعضاً
وتسقطُ في وَسْطِ بيتي
ومُستأذنٌ وَعدُكَ الضَّيفُ في عَتْبَةِ الباب
يا مَرحباً
لستُ طاوي ثلاثٍ ،
فعنديَ نفسي
ونَذْراً لمَقدَمِكَ اليوم أذبحُ في عتبة البابِ يأسي
ومنّي مروءةُ أن أفرشَ العين ،
أن نتبادلَ حتىَ مخاوفَنا
وليكُنْ
أنَّ وعَدكَ مفتاحُ كلِّ القلوبِ التي أحكمَ الشكُّ أقفالَها

النــذور

نذرٌ عليَّ لأُسْرِجَنَّ الشمعَ في كَرَبِ النخيلْ
وأزفُّهُ لمياهِ دجله

نذرٌ عليَّ ،
أخضِّبُ الأبوابَ بالحنّاء
أزرعُ رايةً في سطحِ بيتي
نذرٌ عليّ
إذا سمعتُ الخيلَ تصهلُ ،
والهلاهلْ
وأهلَّة الأعلامِ تسبحُ فوق هاماتِ الرجال
نذرٌ إذا ماجَتْ يَشاميغُ الرجال
بين الأهازيجِ السَّخيَّه
سأشدُّ خصلةَ شَعرِ أختي في زنادِ البندقيه



وشرقت حتى كنت شمسا

وأصغَيْتَ حـــدَّ الغَيظ .. قالــوا ، وأطنَبــوا
وخَفُّـــوا .. وغـالَــوا فـاستخَفُّــوا ، وأرهَبــوا

وأصْغَيتَ .. كـــانَ الحقُّ يُمسِـــكُ نفسَـــهُ
حليمـــاً .. وكـانَ البـــاطِــلُ المحضُ يغضَبُ

وأصغَيت .. كـــانَ الشعبُ يُحصي صمـــودَهُ
يَـــوَقِّتُـــهُ .. والغَيظُ ينمـــو ، فيُعشبُ

دمـــاً فَـدَمـــاً .. صـــوتـــاً فصـــوتـــاً تسلَّقَتْ
منـــابــرَهم ، والكـــونُ يقظـــانُ يـــرقبُ

وأصغَيتَ .. جـاشُـوا ، واستَجـــاشوا وألَّبـــوا
ومـــاجـوا ، وكـــادَ السَّيـلُ بـــالكَيـلِ يـــذهَبُ

فـــأوجَـــزتَ .. أبقَيتَ العيـــونَ شَـــواخِصَـــاً
وراحتْ وجـــوهُ المَستفِـــزِّيـــك تَشحَبُ

وأوجـــزتَ .. لم تُعْطَ الحـــروفُ تـــألُّقـــاً
ولا ألهبَتْ يـــومـــاً بمـــا كنتَ تُلْهِبُ

وأوجـــزتَ .. أعطيتَ المَـدى ضِعْفَـــهُ مـــدىً
وشَـــرَّقتَ حتى كنتَ شَمْسَـــاً ، وغـــرَّبُـــوا

*

تــــأمَّـلْ جمــوحَ الشعبِ ، تُبصــرْ لــه رَحىً
علي محـــوَرٍ مِنْ صَـــوتِـــكَ الفَـــذِّ تُعصَبُ
تــــأمَّــلْ جمــوحَ الشعبِ ، يُــزجي شبــابَــهُ
الى سَبَحـــاتِ المـــوتِ غضبـــانُ أشيَبُ
تــــأمَّـلْ جَمــوحَ الشعبِ يَنـــدى مِنْ الهـــوى
بـــــأعيُنـــــهِ طَيفٌ لتمُـــــوز مُلهَبُ
هــوَ الشعبُ ، مِن خمسينَ غالُــوا ، وأرعَبــوا
وجَـــذّوا جــذوراً ، واستَبـــاحـــوا ، وصَلَّبـــوا
ومــــا زالَ مِن خمسين غـــابـــةَ جنـــدَلٍ
تفـــورُ بهـــا الأغصـــانُ أيّـــانَ تُحْطَبُ
هـــو الشعبُ .. أدْمَــوا منــذُ خمسينَ صَبــرَهُ
وقـــد تَعِبـــوا ، والشعبُ هيهـــات يتعبُ
لقـــدْ حُـــزَّ حتى لم يعُـــدْ فيـــهِ مَبْضَـــعُ
وقـــد شُـــجَّ حتى لم يعُـــدْ فيـــهِ مَضْــرَبُ
فـــــأرغى خضيبَ النَّحـــــرِ يَنفثُ غيظـــــه
وتعلمُ مـــــا يـــــأتيـــــهِ شعبٌ مُخَضَّبُ
هـــو الشعبُ .. فانظــرْ حينَ تدعــوهُ بــاسمِهِ
وتُســـرجُ أفـــراسَ الـــرَّدى ، كيف يـــركبُ

*

لقــد جهــلَ البــاغــون أنَّ مــروءةً
يفجِّــر مِن ينبــوعِهــا الثَّــرّ مِخْلَبُ
وقــد حفَــروا حفــرَ اللئيمِ ، ومــا دَرَوا
بعُقبىٰ دِمــاءٍ في السّــوَيــداءِ تُثْقَبُ
ومــا علِمُــوا أنَّ الطَّعينَ تَــذودُهُ
عن المــاءِ يَفــري جــرحَــهُ ثمَّ يَشْــرَبُ
ومــا عَلِمُــوا أنَّ الحليمَ إذا انْتَظَىٰ
سِــلاحــاً يُــزَكّي حِلمَــهُ حينَ يَضْــرِبُ
ومــا عَلِمُــوا .. تــاللّــهِ حتى حســابُنــا
دقيقــاً ، ونحنُ الشعب » والشعبُ يحسبُ
عَــراهُ ذهــولٌ لحظــةً ، ثمَّ أجهَشتْ
تقتِلُــكَ الأرقــام إذْ أنتَ أصــوَبُ

*

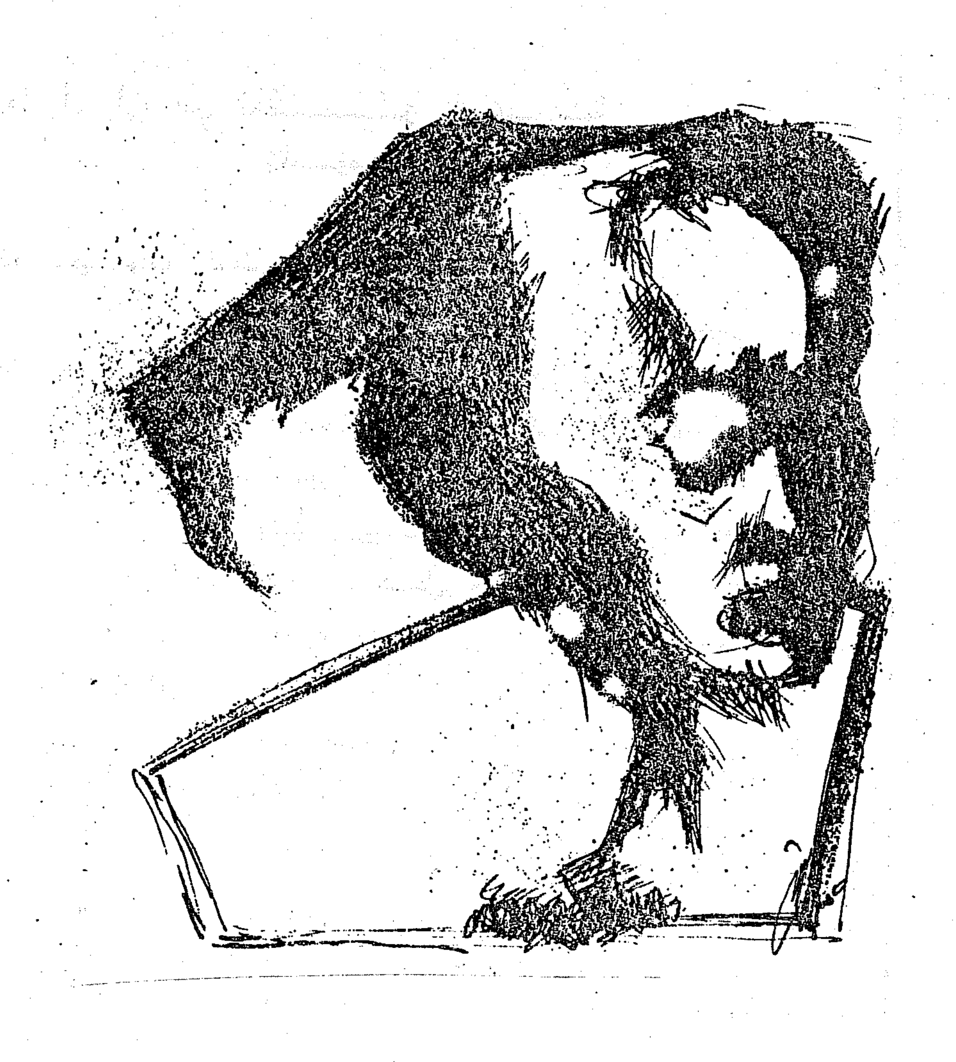
وهَيّــأتَنــا للمــوت ، مِنَّــةَ مُحسنٍ
فَسَلْنــا يُجِبْــكَ الآنَ أهــلٌ ومــرْحَبُ
وسَلْنــا ، وقــد كُنّــا نحــاذرُ ظِلَّنــا
من الشــكّ ، نُعْطِ الآنَ مــا ليسَ يُــوهَبُ
أوَيْــلادَنــا ، نسعى ، ويسعَــون خلفَنــا
الى المــوتِ ، كــلٌّ قَــدْرَ مــا فيــهِ يَــدْأبُ

وَثِقْ أنَّ أيَّ ابنٍ تَعثّــــــرَ رهبـــــةً
يُقَــوّمـــــهُ للمـــوتِ مُستنْكِــــزاً أبُ

*

إقِمْ صَهَــواتِ المـــوتِ ، فــالسَّيــلُ مُقْبــلُ
وليسَ لـــهُ إلّا الـــدّمُ الحـــرّ مُـــرْكَبُ
أقمْ صهَــواتِ المــوتِ ، أحْكمْ ســروجَهــا
عليهـــا ، وعلّمْ قـــانطـــاً كيف يَغْضَبُ
وعلّمْ ســـلاحَ الجـــورِ أنّ رصـــاصَـــهُ
يشقُّ دروبـــاً للسَّنـــا حيثُ يُنْشَبُ
وأنَّ حِـــرابَـــاً لـــزَّهـــا ، كـــلُّ حَـــريـــةٍ
يضيءُ لهـــا في حِنْـدسِ الجُـــرحِ كَــوكَبُ
وأنّــــا جَمعنـــا الكفَّ عـــزمـــاً وأهبـــةً
فلنْ يعتلي متنَيـــــــهِ سيفٌ مُشَعَّبُ
ولكنْ رهيفُ الحـــــدّ ، ذو مِـــرَّةٍ إذا
أصـــــابَ فمَهـــوى نَصْلِـــهِ لا يُطَبَّبُ

(*) كُتِبَتْ هذه القصيدة ليلة اعلان قرار التأميم المجيد .



في معرض الرسم

حينَ صافَحتُها
نبضَ الماءُ في راحَتِي
قلَّ أن ينبضَ الماءُ في وقتِنا
مُقلَتي تتسلَّقُ
أسمعُ نَظرتَها وهي تهبطُ
قاطَعْتُها
أورَقَ الماءُ في لحْظَةٍ
سحَبتْ يدَها

الرسومْ
تتداخلُ ألوانُها
ثمَّ تَبهَتُ
هل تَرشحُ النارُ ماءً ؟
تَغلفتُ في وجهِها

العيونْ
تتقاطعُ مِن حولِنا
ثمَّ تَبْهَتُ
يلتبسُ الوجهُ بالوجهِ
تصبحُ كلُّ الوجوهِ رسوماً مُضبَّبةً
ــ تَرسمين ؟
تصبَّبَ نَهرا ضياءٍ بعينيَّ
ــ أكتبُ
ها أنت تغرقُ
ها أنتَ
حوَّلت الماء
يختلطُ الصوتُ بالصوت
تصبحُ كلُّ الأحاديثِ لغطاً

وتبهَتُ

ـــ لم تَنشري ؟

خلتُها تتعمَّدُ إخفاءَ ضِحْكتِها في مَسافةِ ما بيننا
فتخدَّرتُ
أصواتُنا تَتخصَّصُ شيئاً فشيئاً
تخدَّرتُ

ها أنت تفقدُ كلَّ نقاطِ ارتكازِكَ في لحظةٍ
أيُّما امرأةٍ تسلبُ الأرضَ مِن تحتِ أقدامِكَ الآن

كانَ المدى بيننا يَتوتَّرُ مِمَّا نُضيِّقهُ
يترك النَفَسُ المتردِّدُ ذبذبةً فوق أسلاكِهِ
كنتُ أغرَقُ في بِركتَينِ مِنَ الضوء

تفتَقِدُ الأرضُ أجمعُها الآنَ مُرتكزاً مثلَ عينيكِ
أغـــرقُ

ظلَّ المدى يَدِّني حدَّ أن تَتَلامسَ أطرافُ كلِّ المفاتيح
أغـــرقُ

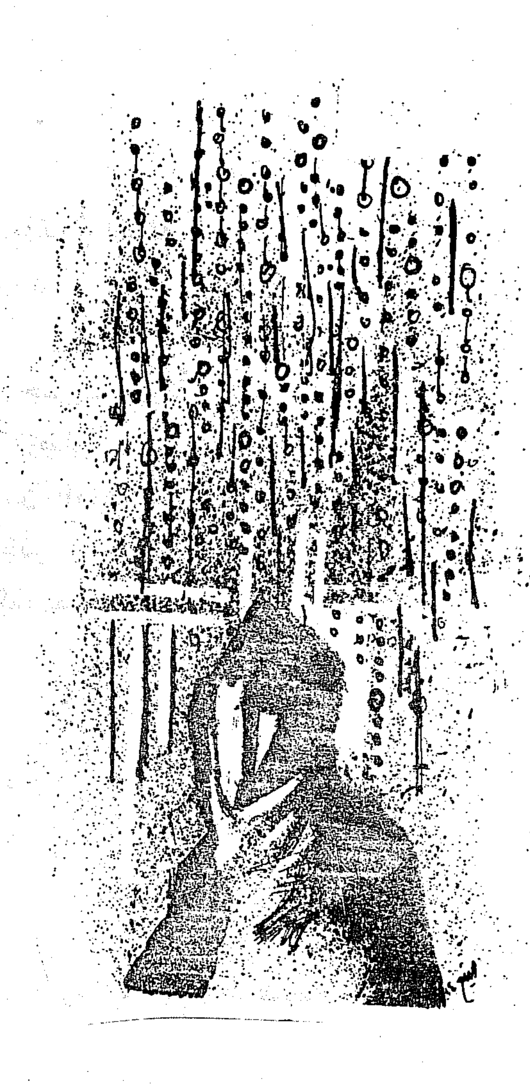
ـــ ها هوَ زوجي .. تَعارَفْتُما قَبْلُ ؟
أرخَتْ جميعُ المفاتيحِ أوتارَها

الغـــابة

تَتَعرّى العيونْ
تَتَعرّى الشفاه
تَفتحُ العُنقُ المخمَليَّةُ درباً
فتَنزلقُ العَين
كلُّ العصافيرِ أجنحةٌ
يَهجرُ العمرُ كلَّ مَواسِمِهِ
أيُّها الرجلُ الطفلُ
تَعلمُ إذْ تعبثُ الآنَ أيَّ الدُّنا تَتَفَتَّحُ ؟
يورِقُ بينَ أصابِعكَ الشجرُ الحلو
والشجرُ المُرُّ
تَفجرُ كلَّ المَنابعِ
تَحفظُ دَيمومةَ الكون
تمنحُكَ الأرضُ ميزانَها
أيُّها الرجلُ الطفلُ
مَنْ لِلحياةِ لو أنَّ الطفولةَ تفقدُ سلطانَها

يَنهضُ الجَسَدُ الربُّ غابةَ أسئِلةٍ
وأنا المطرُ الرَّعدُ
والمطرُ الوّعدُ
عندي لكلِّ جذورِكَ أجوبَةُ
لا تَسدّي مَساماتِ أرضِكِ
تَقتلْ شعوبٌ من الماءِ أنفُسَها
ثمَّ يحترقُ الجَذْر
أرجعُ مُنخلِعاً مِنْ يَقيني

فيا غابةَ الشَّوق
يا غابةَ التَّوق
يا غابةً تستَبيني
ويا غابةً كلُّ أغصانِها تعتريني
أنَّ عنديَ أجوبةً
يهجرُ العمرُ كلَّ مواسِمِهِ
كي يُغلفلَ في أرْضِكِ البكْرِ أمطارَها



أجنحة الطير

حينَ قَبَّلتُ عينَيكِ
أيقَظْتُ سربَ العصافيرِ مِن نَومِهِ
أكلَتْ وجهيَ الزَّقزَقات
على شفتي دغدغاتُ المَناقير
طَعمُ المناقير
صارَ دَمي خمرةً
وإذْ كُنْتُ كالطفْلِ
والكونُ مُرتَسمٌ في شفاهِكِ حُلمةَ نهدٍ
علمتُ بأنَّ طريقَ فِطامي طويل ...
وأسرفتُ
مَنْ قالَ إنَّ الهوى يرتَوي ؟

حينَ فتَّحْتُ عينيَّ
أبصرْتُ سربَ العصافيرِ يغفو
وكانَ وريدٌ على العُنُقِ الغَضِّ يَنبضُ

يا كُلَّ أجنحةِ الطير لا ترجِفي
أنَّ قلبيَ نذرٌ لنومِكِ

قبَّلتُهُ
ثمَّ أغفَيت
كان الصباحُ يُراقبُني

المرقص الشرقي وعينان خضراوان

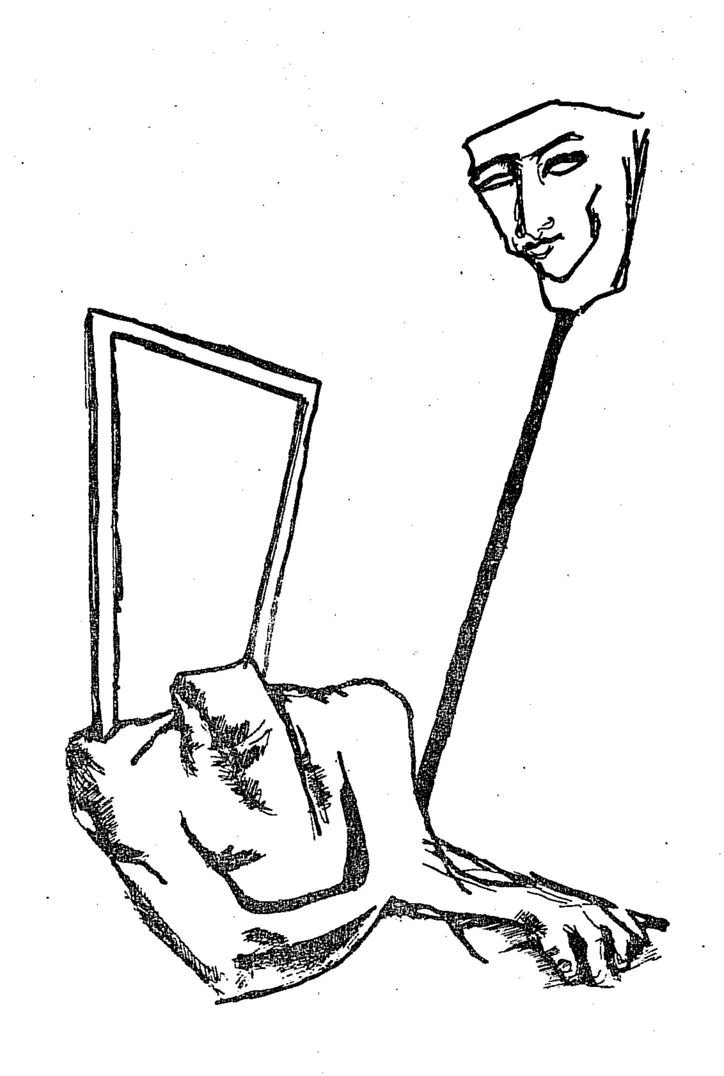
بحرٌ بلا قرارْ
وتعبرُ المَرقصَ أمواجٌ مِن الألحانْ
حقلٌ مِنَ الخُطى
اللّهَ يا مَزارعَ البلغار!

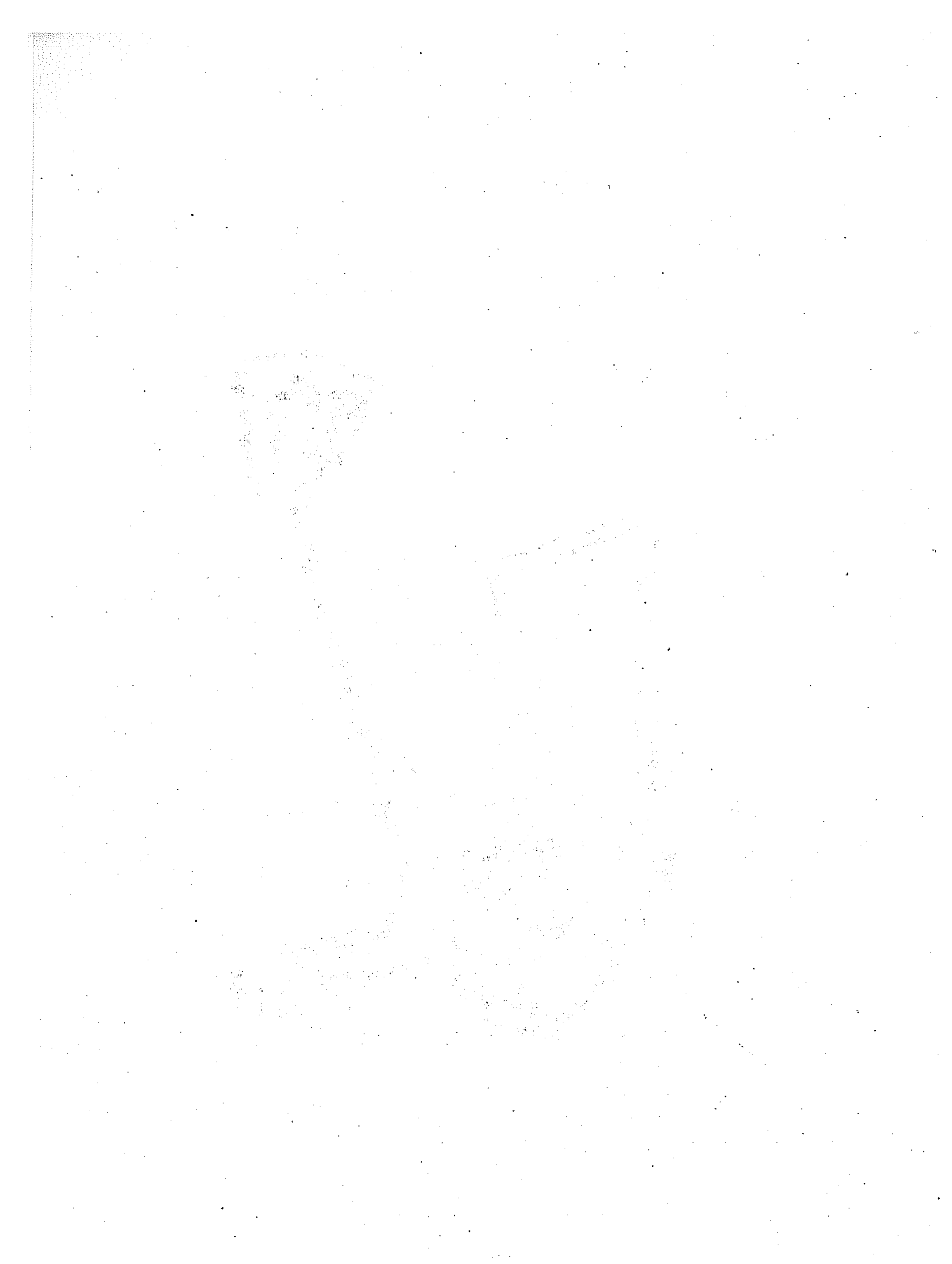
وأنتِ يا رائعةَ العينَينْ
وأنتِ منّي أين؟
أغرقُ في عينَيكِ،
في ضياعي
أحلمُ بالسهولِ والمَراعي
يَحملني شراعي
ما بين أهدابكِ في بحرٍ بلا شُطآنْ
يا سندباداً تاهَ في مَجاهِلِ البحارْ
مِنْ أينَ أقبَلتَ الى مَعابدِ البُلغار؟

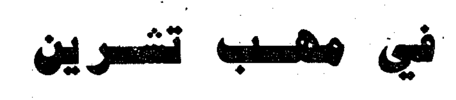
المَرقصُ الشرقيُّ والألحانْ

والمرقصُ الشرقيُّ والكؤوسُ والدُخان
تعصف بي
يأخذُني الدُّوار
يَلتفُّ حولي البحر
يَنهبُني
أتيهُ فيهِ ، أُسْلِمُ القيادْ
أحلمُ في بغداد
وتَصعدُ المَوجةُ
تدبكُ الخُطى
تُهلهِلُ الألحانْ
فأسْتَفيقُ
وإذا المكانْ
المَرقَصُ الشرقيّ
وإذْ بعينَيكِ هُما البحرُ الذي
ليس لهُ شُطآن ..

صوفيا ١٩٧١






في مهب تشرين

احتجاج

اخلَعُوا عنِّيَ كلَّ الأوسِمَه
ارفَعُوا عن جبهَتي كلَّ أكاليلِ المديحْ
إنَّني أرفضُ جرحَ الكَلِمَه

أنا لنْ أسألَكُم أن تَمنَحوني أيَّ شيء
أمضَغُ الآنَ بأسناني فمي
اتركوني لسلاحي
واتركوني لِدَمي
اتركوني لترابٍ لم يَخُنّي
لمْ يُزعْزِع قَدَمي

لنْ أعود
أنا وَسَّدتُ هنا أجسادَ أوفى أصدقائي بيَدَيّ
دَمُهم فاضَ على وجهي ، وغطّى راحَتَيّ

لنْ أعود

وإذا عُدتُ

وأبصَرتُ صغاري
وإذا زوجةُ جاري
سألتْني
عن أخيها
عن أبيها
عن أبي أطفالها
أأقولْ
إنَّني وَسَّدتُهم في تُربةٍ أجْهلُ في حصَّةِ مَنْ سوفَ تَؤول ؟

أأقولْ
هكذا .. ماتوا ؟
ذهبنا كي يموتوا ؟؟
ثمَّ عُدنا بالمَدافعْ
صامتاتْ
بسيولِ العرَباتْ
وبدباباتِنا مَخذولةً ،
ترنو إليها في الشوارعِ
والميادينِ عيونُ الأمَّهات
ووجوه الصِّبْيَةِ المنتظِرينْ

دونَ أن تُرفَعَ كفٌّ ؟
دونَ أن يَعلو جبينْ ؟

زائفٌ كلُّ رَنينِ الكلماتْ
زائفٌ كلُّ نشيدْ
باطلاتٌ كلُّ تلكَ الخُطَبِ المُلتَهبه
ليسَ إلا ثِقَلُ الأرض ، وإصرارُ الحديد
ليسَ إلّا الصَّرخةُ المُحتَرِبه
كلَّما يَهوي شهيد

لن أعود

اخلَعوا عنِّيَ كلَّ الأوسمَه
أنا لنْ أسألَكم شيئاً
ولكنْ
في مَصيري
أنا رَبُّ الكَلِمَه

يوميات مقاتل عربي

« الى محمد الماغوط »

١٢ تشرين ١٩٧٣

وكنتَ على فمِ الرَّشاشِ أغنيةً جنوبيَّه
وكُنتَ على فمِ الرشاشْ
عَراضةَ أمٍّ مقتولٍ لواحدِها الذي هَزَّتْ ولولَتْ(*)
كنتَ يا وطني
هَلاهلَ في فمِ الرشاشْ
تصعدُ واندلاع النارْ
تصعدُ من فمِ الأهوازْ
مِن قدَمَين حافيتَين
شَعرٍ مُرسَلٍ في الريحْ
وصوتٍ في العراءِ يَصيح
« أنا اخْتَكْ »
كنتَ يا وطني المُنادىٰ والمُنادي النّاخيَ المَنخيّ
وما زلنا نقاتلُ
ما يزالُ الحبُّ يا وطنِي يُقاتل

(*) اشارة الى اهزوجة ثورة العشرين المشهورة في العراق : « هَزّيت ولوَلليت لهذا » .

١٥ تشرين ١٩٧٣

ويا وطناً لهُ غنَّيت
كالعصفور
أرجفُ في الصَّباحاتِ الشتائية
وأُنشدُ تحت رايَتِهِ
وَياما كنتُ أقرأُ تَحتَها
«عشْ هكذا»(*)
وأطولُ
أصعدُ في فمِ الكلمات
صرتُ بطولِ ساريةِ العلَمْ
ياما

(*) اشارة الى قصيدة الزهاوي الشهيرة: «عش هكذا في علوٍّ أيُّها العَلَمُ».

ويومَ دُعيتُ مِن صَفّي لأرفعَهُ
وقفتُ أمامَهُ
وبَكَيْت

وها أنا أملأُ الرَّشَّاشْ
بتلكَ الدمعةِ المُجدِ النبيَّة أملأ الرشاش
يا وطني
وباسمِكَ أُطلقُ النيران

٢٠ تشرين ١٩٧٣

إمنَحْني يا وطني
شَرَفَ الموتِ لأجلِكَ في خطِ النار
هَبْني الإصرار

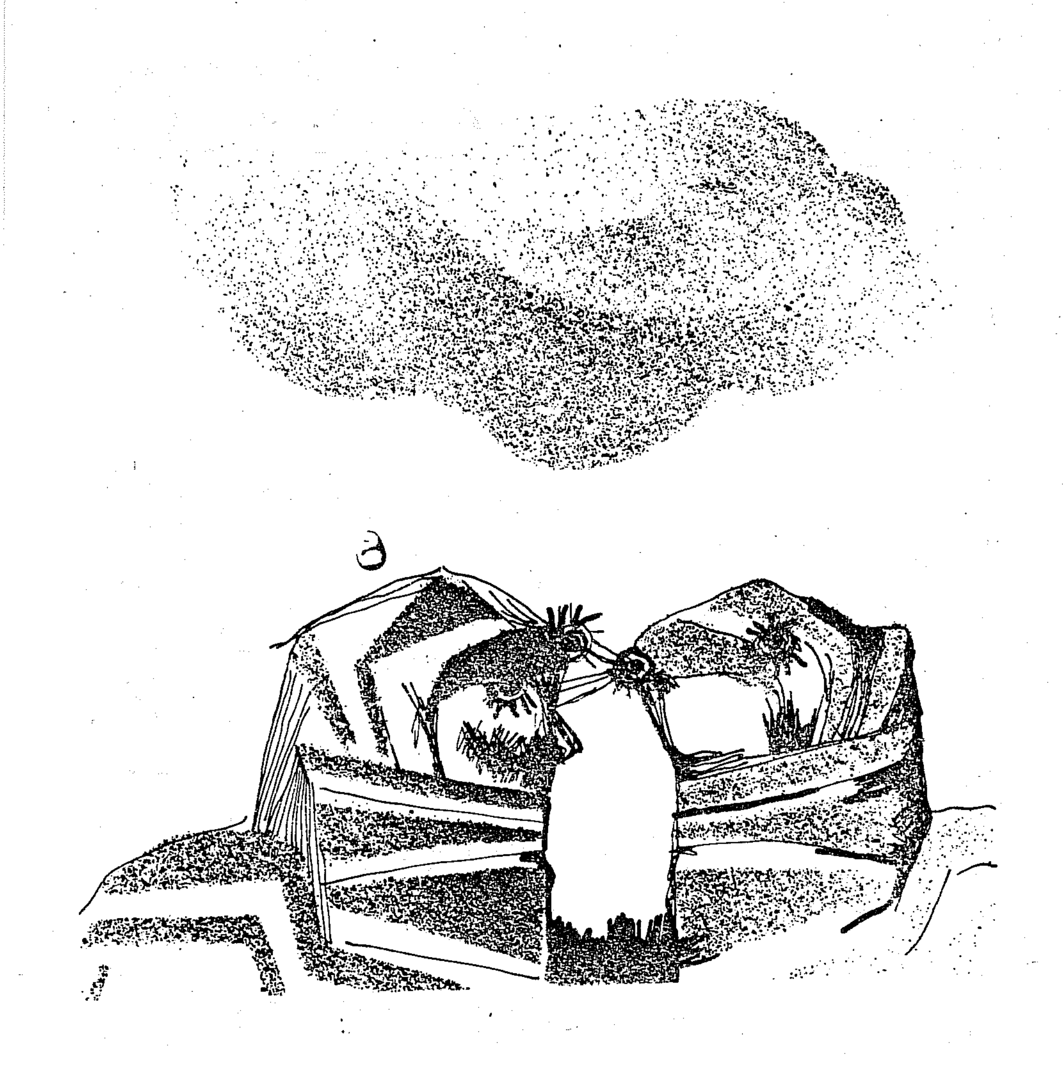
٢٣ تشرين الثاني
وقف اطلاق النار

يا كلَّ أثوابِ النساءِ في عَواصمِ العرَبْ
انحَسِري تحتَ الصدور
انحسِري فوق الرُّكَبْ
قد جَلبَ الرجالْ
مِن حَومةِ القتالْ
سلاحَهم وعادوا
المجدُ للصدورِ والأفخاذْ
والكأسِ والحشيش
يسقطُ يا يسقطُ يا يَعيش ..!

أسألكُم لحظةَ غفرانٍ كي أبكي
عندي صرخةُ مجنونٍ بالثورةِ
لكن كي أصرخَ
أسألكم لحظةَ غُفرانٍ أبكي فيها

بعد شهر واحد
في حديث مع بعض الأصدقاء

صدَّقوا
أنَّ دبَّابةً أُمِرَتْ أن تعودْ
رفضَتْ
عندما أُنْذِرتْ
أوغَلتْ في الحدودْ
قَتَلَتْ نفسَها
ملاحظة :
عُثِرَ على شيءٍ مثل هذا
لدى كثير من الجنود العائدين
فاعتُبِرَتْ وجوهُهم
في عِدادِ المنشوراتِ السريَّة الممنوعه



أيها الغضب الحنظل

كُتِبَتْ إثر عودة قطعات الجيش العراقي من المعركة

ارفَعوا الآنَ أوجُهَكم
وَلْتَقِسْ كلُّ عينٍ مسافةَ ما بينَها والحديدِ المُزَمجر
ما بينهَا والدم المتخثّر
فوق الدروعِ
وأغطيةِ العرَبات
لِتَقِسْ كلُّ عينٍ مَسافةَ ما بينها والرجوله
أيُّها الموصِدون على الخَوفِ أبوابكم
إفتَحوها
أيُّها المُوصِدون على الحُزْنِ أبوابَكم
افتَحوها
كلُّ قطرةِ ضوءٍ تُلامسُ هذا الحديدَ المُضَمَّخَ بالدَم
ثمَّ تلامسُكم
يَتَفتّحُ مَسْقَطُها فوق أجسادِكم عن وَريدٍ
يُمزقُ مِن فوقِهِ اللحمَ
يَسألُ :
لِمَ رَجَعوا ؟

كلُّ قطرةِ ضوءٍ تُلامِسُ هذا الدَمَ المُتخَثّرَ فوق الدّروع
وتسقطُ في دُورِكُم
يَتفجَّر مَسْقَطُها الآنَ عن رايةٍ

كلَّما هبّت الريح
رَشَّتْ دَمَاً فوق أوجْهِكم
وهي تصرخ :
لِمْ رَجَعوا ؟

إنّهُ الغضَبُ القادِمُ الآن كالحنْظَلِ المُرّ
يَحملُ أوسِمَةَ الموت
يَحملُ إصرارَهُ في صَريفِ الدّروعِ على الأرض
يَحملُ إصرارَهُ في جراحِ المَدافعِ ترفعُ أعناقَها
كبرياءً
ورَفْضاً لأحزانِكم

افتَحوا لمَهَبِّ البطولةِ والغضبِ الحنظلِ المُرِّ أبوابَكم
إنَّهُ الشَّرفُ المُرتدي دَمَهُ
المُتوَّجُ بالموت
تُلوَى رقابُ مَدافعهِ عُنوَةً عن مَيادينِها
عُنوَةً تتشبَّثُ بالسُّرفةِ الأرض
تجأرُ من غيظِها وهي ترفُسها
عُنوَةً تحملُ الطُّرُقُ الآنَ وَطأةَ هذا الحديد
ووَطأةَ رفضِ الجراحِ العظيمةِ
أن تغتدي مَحضَ أوسِمةٍ

لا ادّعاءَ
ولكنّهُ العلَمُ المُستقِرُّ على قمّةِ النصر
يُخلَعُ من جذرهِ
ثمَّ يُلقى لأحذيةِ المعتَدينْ
فتَدوسُ الهزيمةُ شامتةً فوقَهُ

لا ادّعاءَ
ولكنّهُ الشَّرفُ العربيُّ المُصوِّتُ عبرَ الجزيرةِ
مِن عُمقِ آسيا
ومِن عُمقِ أفريقيا
في حَناجرِ هذي المَدافعِ
أخرَسَهُ الأمرُ بالصَمت

توشِكُ أفواهُ كلِّ المَدافعِ أن تَستديرَ على نفسِها
ثمَّ تُطلق نيرانَها !

لا ادّعاءَ
مَهيضٌ هوَ الجرحُ
يَنضحُ بالغضبِ الحَنظلِ المُرّ
فَلتَفْتَحوا كلَّ أبوابِكم
إنّهُ الصَّادقُ الوعد

....

القادِمُ الآنَ مِن حَومةِ النار
يحملُ أمجادَهُ حدَّ أن تقْشَعِرَّ الشوارعْ
يَحملُ أمجادَهُ حدَّ أن لا مجالَ لأن يُسألَ الدَمُ والموت
مَنْ يَجرؤ الآن أن يسألَ الدَمَ والموت ؟
ها هو ذا
السؤالُ الكبيرُ يَمرُّ أمامَ مَحاجرِكُم
يتطلَّعُ مِن فوّهاتِ المَدافع
مِن قبّعاتِ الدروعِ
مِن السُّرَفِ التَّمضغُ الأرضَ حدَّ الوَعيدْ
ومِن نَظَراتِ الأسودِ الجريحة
المُتكبّرةِ المُستفَزَّةِ فوق الحديد
يا أكُفَّ الصِّغارِ التي لَوَّحتْ في الليالي
يا أناشيدَهم للقتالِ
يا هَلاهِلَ نسوَتِنا
يا وجوهاً همىٰ الدمعُ والفرحُ الحُبُ مِن فوقِها
وهي تركضُ حافيةً في الليالي على صوتِ قطعاتِهم
تتدفَّقُ ملءَ الشوارعِ للموت
يا فرحَ الشعب
يا غضبَ الشعب

يا حُبَّهُ
قفْ خشوعاً
فكلُّ الدروبْ
خاشعاتٌ لِثقْلِ الذي فوقَها
خاشعاتٌ لإحساسِها
أنَّ هذا الدَمَ الحنظَلَ المُرّ
لا بدَّ يوماً يَؤوبْ
إنَّ هذا الدَمَ الحنْظَلَ المُرّ
لا بُدَّ يوماً يؤوبْ

قضية- الشهيد الرقم ١٠٠٠

ارفَعُوا عنّي غطاءَ القبر
إنِّي سأقاتِلْ
مَرّةً أُخرى أقاتِلْ
بالرَّصاصِ المُسْتَقِرِّ الآن في صَدرِي
أقاتِلْ
بِشراييني التي أفرغَها النَّزْفُ
أقاتِلْ
وبمَوتي ، كلِّ مَوْتي ، سأقاتِلْ

إنَّكم لمْ تَتْرُكوا لي غيرَ قَبْرٍ ، وبقايا شاهِده
كانَ مَوْتي وَحدَهُ المُثْبت فيها :
الشهيد الرَّقَم ١٠٠٠
ماتَ .. مجهولَ الولاده

ورَحَلْتُم

قلتُ مجدٌ أنَّ لِي مِنْ وطني قَبْراً ، وتأريخَ شهاده
قلتُ باسمِ الوطَن المَشْغولِ عنّي بانتصارةْ
الذي تَسْبَحُ دباباتُهُ الآنَ بِنارهْ
أرْتَضي أنّي أموتُ الآنَ رقماً
عارِياً حتّى مِن اسمي
زَوْجَتي تعرفُ ميلادي ،
وأطفاليَ أيضاً يَعْرِفُون
ولتكُنْ يا وَطَني إسماً ، وتأريخَ ولاده
وليكنْ قَبري وطنْ

كنتُ أزْهو
أنّني أسمَعُ صوتَ الريحِ إذْ تَعْبرُ قَبرِي
تَتَهجّا كلُّ حَرفٍ مِن حُروفِ الشاهِده

كنتُ أزْهو
وأنا أسْمَعُ دباباتِكُم تُرعدُ حَولي
أنَّ قَبْري سَعةَ الأرضِ
وأنَّ النّارَ باسمي الآنَ تُطلَقْ
أنا مَنْ لا اسمَ له

كُنْتُ أزْهو

أنّنيَ جزءٌ مِنَ الأرْضِ التي تحمِلُكم
أرفعُ صدْري كي أمسَّ التُّربَةَ الكنتُم عليها تَعْبُرون
ورَحَلْتُم

أيُّها المُنْهَزِمون
إنّني أسمَعُ صوتَ الشاهِدَه
تسْتَغِيث
تحتَ دباباتِكم ..
أسْمَعْ أقدامَهمو تَحتلُّ قَبري
وأنا يُمْسِكني الموت
فلا أملكُ حتى أن أصيح :
« هَلي
يا مَنْ ضَيّعوني »

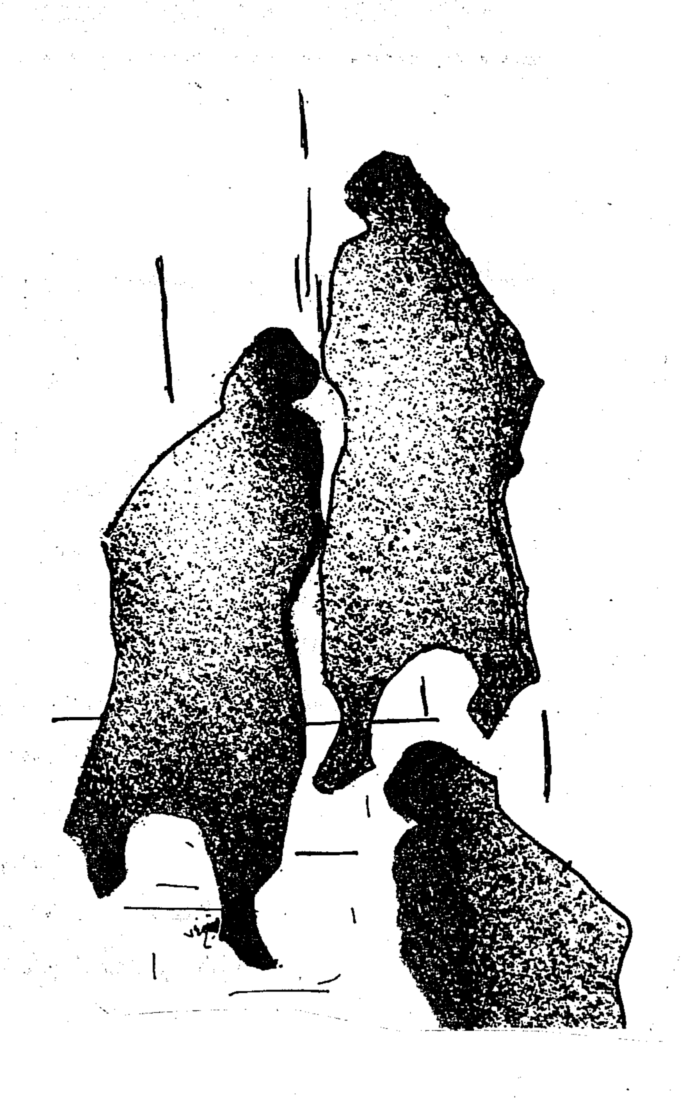
إنّها لوعَةُ مَنْ لا قَبْرَ له
إنّها لوعَةُ مجهولِ الهويّه
الذي حارَبَ مَزهوّاً
ولمّا مات
ألفىٰ أنّه حارَبَ مِنْ دونِ قضيَّه
لا تَقُولوا لِصغاري

لا تقولوا لاخيّاتي ،
لأهلي اليملأون الآنَ داري
انّني متُّ شهيد
إنَّ مَنْ يُحْتَلّ حتّى قبرُهُ ليسَ شهيد

سأُقاتِلْ
لِيكونَ القَبْرُ لي
سَوفَ أقاتِلْ
أنا عن قَبري أقاتِلْ

إنَّها خمسُ رصاصاتٍ بِجِسْمي شامتاتْ
ملءَ قَبري يتهامَسْنَ عليَّ :
الآنَ مات

أيُّها المُنهَزِمونْ
أنا ما عُدت شهيداً لقضيَّه
صِرتُ مَيْتاً بائِسَاً ،
صِرْتُ خَطيّه
ولكي أُقتَلَ مِنْ أجلِ قضيَّه
سأُقاتِلْ
ولِيَكُن قَبْري قضيَّه



أغنية حب للجبهة الوطنية

ها أنتَ يا وَطنَ الشهادةِ تمنحُ الخُطُواتِ فجرَ الدرب
للقَدَم التي قُطِعَتْ
مكاناً تَسْتَقِرُّ الساق
لِلماتُوا
شهادةَ أنّهم وُلِدُوا
لِمَنْ يأتون
أوراقَ انتماءٍ أنّهم أولادُكَ الآتون
وللشُّهداءِ إيصالَ اعترافٍ أنّهم ماتوا لأجلِكَ
أنتَ يا وطنَ الذينَ قضَوا لِشحِّ الماء
ثمَّ قضَوا لفَرطِ الماء
يا وطَنَ الحرائقِ
والبيارقِ
والأخاديدِ الكبيرةِ
تَمنحُ الخُطواتِ فَجْرَ الدرب

تُسرجُ صَهوةً للموت
تُسرجُ صهوةً للعابِرِينَ إليكَ نهرَ الموت
تمنحُ كلَّ مُعجزةٍ مداها

أقسِمُ يا وَطَني أنك تَشفي الأعمى والأكمَهَ والأبرَصْ
أقسِمُ أنكَ إن شِئْتَ تَقُلْ للشمس قِفي في سَمْتِ الرأسِ تَقِفْ
حتّى تَحْتَرقَ الظُلمَةُ في كُلِّ حناياك
أقسِمُ بالنَهْرَينِ اجتَمعا في شَطّكَ
أنكَ صِرتَ الأبهى
أن مياهَكَ أنقى
أن الزَّبَدُ سيذهَبُ عنك جفاءً
أمّا ما يَنْفَعُ هذِي الأرض
فَيبْقَى

دَورُكَ أن تُقسمَ لي يا وطني
نتعادَلْ في العهدِ ونقتسم العُقبى
عهداً
أنْ تَمْنحَني عيشاً لا جِزيةَ فيه
أنْ تمنحَني موضِعَ قَدمٍ أحميه
عَهْداً يا وَطَنِي أنْ تمنحَني موتاً لا شُبْهَةَ فيه

اسماً

يُكتبُ إنْ متُّ على شاهدةِ القبْر

يَقولوا أبحَرَ في شَطٍّ مِن نَهرَينِ امتزَجَا

لم يُثمرْ شجرٌ يسقيهِ بلونَين

ولا طعمَين

فلم يتمَزَّقْ هذا الميّتُ بينَ الحامضِ والمالح

بينَ الحُلوِ وبينَ المُرّ

ولكنْ ماتَ وفي فَمِهِ طَعمُ الوَطَنِ البِكْرِ المتَوحِّدِ والمتفرّد

طعمُ الأرضِ ورائحةُ الأرض

وكانَ على شَفَتَيْهِ هتافٌ للجَبْهه

انه الفجر ينهض

حينَ يَرْتطِمُ الغَيمُ بالغَيم
يُخطىءُ مَنْ يحسبُ البَرْقَ مُعجزةً
يَنْهَضُ الفَجْرُ في الليل
أو يَنْهَضُ الليلُ في الفَجْر
قدْ يُخطىءُ الظَنُّ
لكِنّمَا الرَّصَدُ الحَدْسُ
يَحْتَضِنُ الرَّعدَ قبل اندلاعِ البرُوق

النجومْ
رحَلَتْ عن مَدارَاتِها
أخْلَت الدَّربَ
إنَّ شِهاباً توسَّطَ في وَتَرِ القوس
يَجمعُ أطرافَها

ثاقِبُ ضوءُ سَهْمِكَ تموز
يُخطىءُ مَنْ يحسبُ البرقَ معجزةً

إنّهُ الفجرُ ينهض
يرتَطِمُ الغيمُ بالغَيم

أسقَطَ كلَّ حساباتِهم أنَّ بَرقَكَ أسرع
إنّهم حسبوا للرعودْ
حسبواْ للغيومِ التي تتجمعُ ألفَ حسابٍ
وما حسبوا لالتحامِ الغيومِ حساباً

وأعلنَ عن نَفْسِهِ البرقُ
أعلنَ عن نَفسِهِ هاجسٌ يتنفَّسُ في رئةِ الشعب
يعرفُ أنَّ النجومْ
رحَلتْ عن مُداراتِها
أخلَت الدربَ عن كوكبٍ يتوسَّطُ في القوس
يجمعُ أطرافَها

ويجيءَ القدَرْ
ثاقباً
يتَخطّى حساباتِهم
مُفْعَماً بالمَطَرْ

كُتِبَتْ في الذكرى الرابعة عشرة لثورة تموز ١٩٥٨ .

أمنية لعام جديد

« مهداة الى م . س . »

تسألُني أن أتَمنَّى ،
ما الذي أُريدْ
لوْ أنّني وُلِدتُ مِنْ جَديدْ
آنسَتي
إنِّيَ كلَّ يومْ
أولَدُ مِنْ جَديدْ
أموتُ مِنْ جَديدْ
وبعدَ كلِّ موتْ
أفزعُ مِن ولادتي الأخرى
أودُّ لوْ .
لكنّني أُولَدُ رغمَ الخوف
لكي تَتمُّ اللعبةُ الكبرى

آنستي

ما بينَ ميلادي وموتي كلَّ يومِ
أشتهي مَرَّه
لو أنّني كمثلٍ ما يُولَدُ كلُّ النّاس
أُولدُ طفلًا مرةً
ومرَّةً أخرى
أموتُ طفلًا
دونَ أنْ أفهمَ هذِي اللُّعبةُ الكبرى

الخطيئـــة

أيُّنا قَدَرُ الآخر الآن ؟
عيناكِ ، والشمعةُ المستقِرَّةُ في كَأسِها
تَقْطرانِ
وتَقطرُ
لكنْ
أنا الذائِبُ المتكبّرُ في صَمْتِهِ

أيُّنا قَدَرُ الآخر الآن ؟

ـــ ما كُنْتُ أحلمُ أنكَ
ـــ ماذا ؟
ـــ ... تُفكّرُ بي

طفلةٌ
كيف أفهِمُها أنَّ في كأسِها الآن خَمْراً

وانيّ اهيمُ بها هكذا
طفلةً
أتأمَّلُها مثلما يتأمَّلُ رَبٌّ خطيئَتهُ

كيف أُفهمُها أنّها الآن أصغرُ مِنْ أنْ أُغازلَها
أنّها الآن
أكبرُ مِنْ أنْ أغازلَها

لحظة عري

تقاطَعَتْ أعينُنا
تَدنو الوجوهُ ثمَّ تنأى
أعينُ الطلابْ
تَرمُقنا
أبحثُ في بحارِ عينَيها عن الشُّطْآن
عن ساريةٍ أضَعتُها

ــ نسيتَني ؟
أربَكَنِي السؤال
أبدو عارياً أمامَ عينَيْ طفلةٍ نسيتُها

ــ ألَسْتِ ؟ ..
ــ لنْ تَذكر
ــ أنتِ .. ؟
ــ لا ..
سنَنْسىٰ
تكثرُ الوجوهُ
نَنْسىٰ

تعْبرُ السنين
نَنْسى
أعيُن الطلابِ كَم تُرْبِكُ .
ــ هل ذكرتَ .. ؟

يا كُلَّ السَّماوات التي تغفو بعينَيها
شراعُ تاه
لكنْ أين ؟
نجمُ تاه
منذُ متى ؟
ولكنْ .. أعيُنُ الطُّلابِ
وهي تُلحُّ
ــ تَذكرُ ليلةَ الميلاد .. ؟
ــ ها .. ؟!
وأضاءَ نجمُ بين عينَيها
شراعُ عادَ مِنْ سَفَرٍ بعيدٍ بين عينَيها
وكانت أعيُن الطلابِ تطفو
ثمَّ ترسبُ
ثمَّ تطفو بيننا
ــ هيّا الى القاعه

احتراق يومي

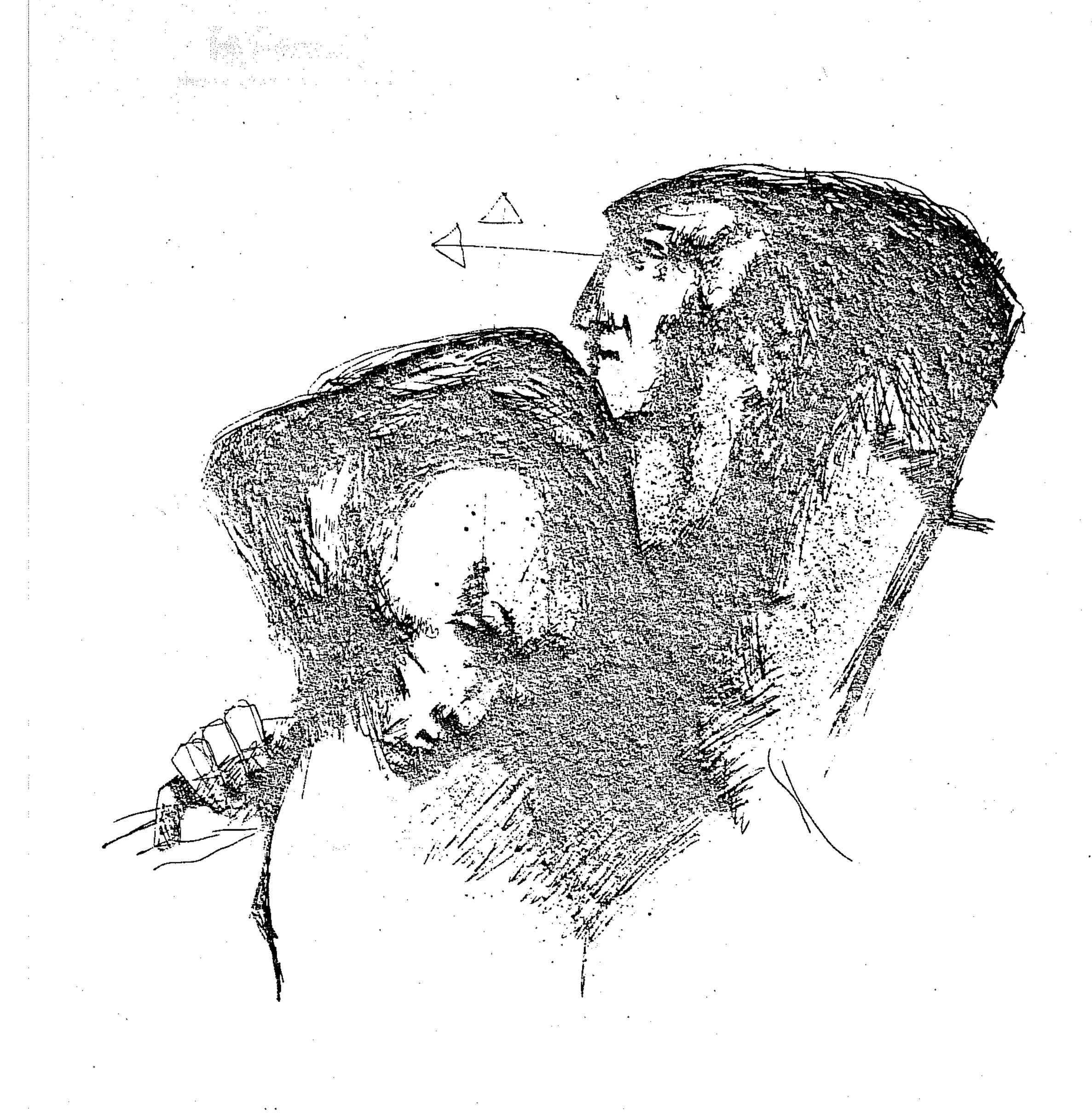
وكأنَّما أوهَمْتِ وَهما
وكأنَّما لَمْ تَرسمي عينَيك في عينَيهِ رَسما
وكأنَّما ..
عبَثٌ ونأسفُ ألفَ مرَّه
ونعودُ نعبثُ ،
ثمَّ يذبحُنا التَمَزُّقُ كلَّ مَرَّه

ولأنَّ حبَّكِ لمْ يكنْ إلّا ظُنونْ
قُلْنا يكونُ
ولا يكونْ
قُلْنا
ومثلَ الأُخْرَيات
سَتَمُرّ
نذكرُها كَوجهٍ مِن وجوهِ الأُخريات
يومان
أُسبوعان
عفْوَكِ ،

نحن أصبَحنا نكونْ

وكأنَّما أوهَمتِ وَهْما
وكأنَّما لمْ تزْرَعي شفَتَيكِ في شَفَتَيهِ وَشْما
وكأنَّما كانَ انتظارُكِ والطريقُ على مَداه
محضَ انتظارْ
كانت مُراقَبةُ الطريقِ على مَداه
محضَ ابتكار
ولَبِسْتِ ما كَان اشْتَهاه
لأنّهُ كانَ اشْتَهاه
وأرَيتِهِ لونَ الأظافر مثلَما كانَ اشْتَهاه
وكقطةٍ مقرورةٍ بيضاء كُنْتِ تُمرّغين
في صدرِهِ المُتَهدّلِ الأزرارِ وجهَكِ
ترجفين
وتُغَمْغمين

ومضَيتِ
لا كَانَ الطريق
ولا خُطاكِ على الطريق
ولا ابتسامَتُكِ الصغيرةُ
لا التَّنَهُّدة الغَريرَهْ
إلّا ابتكارْ
محضَ ابتكار



توقيـــع

« الى ل . ب . »

عِنْدَما تدخُلِينَ الى خيمَتِي
يُعشِبُ الرملُ فيها
يَنْبتُ الورَقُ النَّضْرُ بين فطورِ الحطَبْ
تهرَعُ الكلماتُ إليكِ
تُفتّتُ أنفسَها أحرُفاً
تتسابقُ كي تقرأيها
عندما تدخلين الى خيمتي
ما الذي يعتَرِيها ؟!

توقيـــع

« الى س »

أأنقُ مِنْ نَحلَه
أعزُّ مِنْ سُنْبلةٍ ريّانةٍ طفلَه
أعذبُ مِن قُبْله

كلُّ بَهار الهندْ
كلُّ مياه السِندْ
مزرعةٌ مِن قَصَبِ السُكّرْ
تقطَّرَتْ في غُصنِ سنديان
يلتفُّ بالماكسي
يا غُصُناً أسمرْ
يا كَرْمةً تكاد مِن عُنقُودِها تَسْكَر
يا ثرَّةَ المياه
تفطَّرَتْ كلُّ شفاهِ الكلمات
احترقَتْ
على ضِفافِ نهركِ الإله

توقيـع ثالـث

كَسَرَ الموجُ كلَّ ضلوعِ السَفينَه
عبَثَ البحرُ بالسندباد
ولما أضاءَ له مَرفأٌ
فَقَدَ البحرُ ساحِلَهُ

أنتِ
يا مَرْفَأً فَرَّ لحظةَ أومَأَ لي
أمهِلي

يا بِحارَ العيونْ
أمْهِلِينا
فإنّا غداً راحِلُون

سلسلة الذهب

سلْسِلةُ الذَهَبْ
تعبَثُ بالأصابعِ البَلُّورْ
يَعب فيها قَلَقُ الأصابعِ البلّور
تصعدُ للشفاه
تسكنُ في مَواطِنِ اللَّهبْ
تُفلِتُها ،
فتهبطُ السلسلةُ الذَهَبْ
تدخلُ في منعَطَفاتِ النورْ
وتلتقي العيون
يَبتَسمان ،
تهبطُ العيون
تنكَسِرُ النظرةُ
تلتَقِي الهواجسُ التَّوقّعُ الظنون
يَلتَقِي المجهولُ كلُّهُ
على سلسلةِ الذَهَبْ

دعوة الى كل شيء

مَعبَرٌ في حرائقِ عينَيكِ
يوميءُ لي
الشواطيءُ مَرْفوضةٌ حين يشتعلُ الماء
كلُّ المحيطاتِ أسفَحُها للنداءِ المُلوّحِ
ما بينَ عينَيكِ
هل تَفتحُ الجُزُرُ المُستحيلةُ مَرفأها ؟

ان صاريةً تتألَّقُ في الموج
ينْشَطِرُ الماءُ شَطْرَين عنها
ستأتيكِ عريانةً
حَدَّ أن تُبصِري بين أنساغِها النَفَسَ المُتردّدَ
عريانةً
حدَّ أن يخجلَ الماءُ من عُرِيها

أيُها المَعْبَرُ المُتوثِّبُ بين الحرائقِ
هل تفتحُ الجُزُرُ المُستَحيلةُ مَرفأها ؟
إنَّها شارةُ للتَّصدّي !

ممر الى قلق متوقع

هكذا ؟

مثلَ سُنبلةٍ كُسِرَتْ

مثل عشٍ تُهاجِرُ منه العصافير

تعرى ؟

هكذا فجأةً يهبطُ الفقر ؟

تقبعُ وحدَك

لا صَوْتَ

لا ضِحكةٌ

لا شِجار

وبين السجارةِ والثانيةْ

تنطوي مثلَ عود الثقابْ

وتَشيخْ

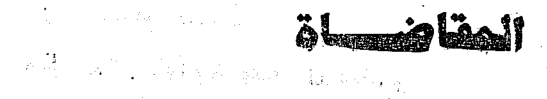
هكذا تتساقطُ كلُّ المعابِرِ

بينكَ والحُبّ ؟

بينك والخوف ؟

بينك ..

وا مَعبَراً قلقُ العمرِ مِن دونِهِ



المقاضــاة

مقاضاة رجل أضاع ذاكرته

كُلُّ مَنْ مات
أسقَطَ عنّي وعن نَفْسِهِ عبءَ أن يشهَدَ الآن
لِي أو عَليّ
فأنّي أخافُ شهادةَ أمواتِكم
أرتَضِيكُم شُهودِي
أنا المُسْتباحةُ ذاكرتي
المؤجَّلُ مِنْ يومِ مقْتَلِهِ رَهنَ تحْقِيقِكُم
نُشِرَ النّاس
كلُّ القياماتِ قامَتْ
وما زالَ منتظِراً
أإذا جاءَ يَسْعَى
نظَرْتُم إلى بعْضِكُم
ما الذي تُنْكِرون ؟
ألمْ تُبْصِرُوا قَبْلُ مَيْتاً يُراجِعكُم ؟
ألفَ ميتٍ تَركتُ على الباب

: بل واحدٌ يتكَلَّمُ عَنْكم
ولحظةَ يدخلُ في بَهوِنا
يُغلَقُ البابُ مِن خَلْفِهِ
ثمَّ يُقتَل
دافعْتُهُم
وركضتُ الى سِترةٍ كنْتُ خبّأتُها
ثمَّ عدتُ كَما الطير
أحملُ نشوةَ موتي القديم
ودافعتُهُم

: أنا عندي بطاقةُ موتٍ

عندي سيفٌ في خاصرَتي
لا أملكُ مقبضَهُ
لكنّي أملكُ خاصرةً فيها سَيفْ

ورهيفٌ حَدُّ النُّصلِ
وأحضنُكم حَدَّ تَمَزُّقِ أحشائي
زَهواً في خاصرَتي أحملُكم
آهِ
ويقتلُني زَهوي
لكنْ .. يا حيفْ !

إنَّ عندي بطاقةَ زَهوي
بطاقةَ موتي القديمةَ
يا مَنْ جَعَلْتُم مِن الموتِ مُنعطَفاً
وجَعَلْتُم مِنْ الموتِ مُخْتَبَراً للدموعْ
وكانَ الشهادةَ
تُمنحُ للمتَخَرِجِ فيكُم نبيّاً
وصَغَّرْتمُ الموت
حتّى تأبَّطَت الناسُ أكفانَها

أفإن جئتُ أسعى نظرتمُ الى بعضِكُم ؟
إنّه القتلُ عَمْداً

أرى جَسَدِي موثَقاً بينَ قُضبانِ أعيُنِكم
وتقولون : شُيِّعتَ
يخذلُني الحُبُّ حتّى أوافِقَكُم

وللمرّةِ الألف يقرأ أسماءَ أمواتِكُم
لم يجدْ إسمَهُ بينهُم

ماتَ مِن دونِما شاهدٍ؟
لِيَكُنْ
سلِّمُوه جنازتَهُ
ويُوقِّعَ ألّا تكونَ على قَبْرِهِ أيُّ شاهدةٍ

وتركتُ على البابِ ألفاً
قرأتُ عرائضَهم كلَّها
كيفَ كذَّبْتُموهم ؟
كلُّهم سَمعوا هاتفاً
كلُّهم أبْصَروا علَماً ضَرَبَ الماءَ فانْشَقَّ
قالوا تباركَ موسىٰ
وخاضوا
فَمَنْ سَحَبَ العَلَمَ المُسْتَقِرَّ مِنَ الماء ؟
فِرعَون ؟؟
أمْ ساوَرَتْ رِيبةٌ قَلْبَ موسىٰ ؟
وقالوا خُذِلنا
ودَارَ بِنا الموج
كلُّ المَرافيءِ كانَتْ تُضيءُ
ولَكِنَّ أعيُنَنا نُذرَت لفنارٍ من القَلْبِ تَصْعدُ
خفْقَةُ مِصباحهِ
فهي تَبحثُ ..

ثمَّ سَمِعْنا بأنّا نُعِينا الى أهلِنا
فَرَجِعْنا
ونقطَعُ مِنْ لَحْمِنا

ونُريهِم دَمَاً تَتوهَّجُ رَغوَتُهُ
فيقولون :
لكنْ دُفِنْتُم ..

كُسِرَ النابِضُ فيكَ إذن
فَتَأرْجَحْ في الماءِ كما تَهوى
لا تَخضعْ إلّا لشروطِ اللعبةِ تلعبُها
أمّا الموت
فمسألةٌ أخرى
إنْ هيَ إلّا أسماءُ

بل أنزلتُم سلطانا
وحَكمتُم بالموت
ونَفّذتُم إعلانا

وتَركتُ على البابِ ألفاً يلاحقُني صوتُهم
: لا تَعُدْ قبلَ أن تَتَبَيّنَ
سَلْهُم ،
متى يُطلقون سراحَ جَنائزِنا ؟

ها أنا الآنَ أسألُكم
ها أنا الآن أسألُكم

ويُعاتبُني صِدْقُكُم
ويُعاتبني النّاسُ فيكُم
ودَربٌ قطَعْنا معاً
ويُعاتبُني أنّكم خَيْرُنا رغمَ ما كان
يَنْكسِرُ الغيظُ في راحتي غُصُناً
كنتُ أشهرُهُ لأصولَ عليكم
إذا مسَّكُم
أورَقَتْ كلُّ أشواكهِ
وإذا أخطأتْ
وَخزَتْني

يا ما بَحثْتُ
أنا المُستباحةُ ذاكرتي
عن دليلٍ لأسواقِكُم
لمَيادِينِكُم
قلتُ أهلي
فما ولدَ الفَطْرُ في حائطٍ رجُلًا

وعَرَضْتُم ليَ اليُتمَ حتى انكسَرتُ
وأنْكِرُ أن أتَبَنّى على كِبَري
إنّني شِختُ حَدَّ ابيضاضِ العيون

ونظرتُم الى بعضِكُم ..
وَيْ
أُصِرُّ على تُهمةٍ أَتَلبَّسُها
صِرتُ فيكُم لَقيطاً ؟
وقدْ كانَ مائي
وكانَ إنائي
وكانَ القميصُ الذي تَنشرونَ خَضيباً قميصي
وأذكرُ أنّي ..
ولكنّني لم أعُدْ أتَذكَّرُ
ذنبيَ أنّي نَسيتُ على الدربِ ذاكرتي
قلتُ يعرفُني النّاس
أرتَضيكُم شهودي وإنْ كُنْتُ أجهَلكُم
كُلُكُم تَمْلِكُون جِراحاً
كُلُكُم ستُدينونني
غيرَ أنّي أُحذّرُ أسرعَكم للإدانةِ
أنّي سأسألهُ
ولقدْ كنْتُ أملكُ أن أتهادى برأسٍ أُعلّقهُ
فوقَ رُمحي
وقيلَ انتَصِفْ :

عنُقٌ وسَّدَتها المَقاديرُ سيفَك
إنْ هوَ إلّا كما تَطْرِفُ العَين
توميء لِلكَتفَين
فينزَلِقُ الرأس
تَعدو به بَطلًا

وتأمَّلْتُ
ألفيتُ حنجَرةً جحَظَتْ
واستطالَ مِن الخوفِ بلعُومُها
لستُ أدري لماذا تذكرتُ أعناقَكم فارتَعدتُ

وقيلَ انتصِفْ
أترى ؟
إنّني لم أُخَيَّرْ
وها أنا أدخلُ وَجْدَك يا حُرُّ
لكنْ مِن الطَّرَفِ الآخرِ المُتمَزِّقِ
فاغفِرْ مُكابرَتي يا رياحيُّ
ما كُنْتُ أملِكُ نفسيَ في حالَتيَّ
لهذا أموت

وتملكُها
ولهذا تَموت
وشتّانَ شتّان ما بيننا

أنْ تُطارِد موتَكَ حتّى تُطَوِّعَهُ
ويُطارِدُني الموتُ حتّى يطوّعني

حينَ قدَّمْتُ رأسي لهم
رفَضُوا
قلتُ لا أدّعي عُنُقاً لستُ صاحبَها
فامنَحوني بُطولةَ رأسي
ضَحِكُوا
قيلَ لوْلا تَرَكْتُم أخاكَم يُمارِسُ حربَ الطَّواحين
هلْ كانَ دَرْبي طَويلًا إلى عَصْرِكُم ؟
إنّني لستُ أحملُ ذاكرَتي
وأنا مُستَقِرٌ على أن أقاضىَ
فَلْيَفْرِشْ كلٌّ منكُم ذاكرةَ البَطَلِ القادِمِ مِن سيناءْ
وَلْيَحشُ بعينَيَّ قميصاً خضَّبَهُ في الأردُن
وَلْيَدْمغْ وَجهي بالعار
لأنّي لم أُقْتَلْ في القْدس
لأنّي لم أُقْتَل في الخرطوم
لأنّي لم أُقْتَل في كلِّ حروبِ الرِّدَّه
ولأنّي لم أُقْتَل وكفى

جِئْتُ مِن حيثُ جِئْتُم جميعاً
ربَّما كُنتُ منهَزِماً
لستُ أدْرِي
فعندَ الهَزيمةِ
لا تسأل الخيلُ فرسانُهَا

ركضوا
وركضْنا
طريقٌ قَطَعناه
كلُّ اتِّجاهاتِه علَّمَتْها الحَوافِرُ
مَنْ يدَّعي أنَّ حافِرَهُ ملكَ الاتِّجاهِ الصَّحيحَ الى الموت ؟

واقِفَاً بينَ أجسادِ قَتْلاكُمو أتفَصَّدُ خوفاً
ولم أُغْمد السَّيف
أعلمُ أنّي حمَلتُ دليلًا عليَّ
لقد كُنتُ أبحثُ عن شاهدٍ لمُكابرَتي
عندما وطأتْنِي حَوافرُكُم وهي تركضُ تركضُ
في كلِّ متَّجَهٍ
أيُّها النّاس ...
مَنْ يَسْمَعُ الصوتَ في زحمةِ الموت ؟

الخيلُ تركضُ
والأرضُ تركضُ
يا أيُّها النّاس
جَرْحاكُمو
أهلَكُم
جُثَثاً قبلَ يومٍ وقَفْتُم لها خُشَّعاً
تتقاذفُها أرجلُ الخيل
فَلْتَتَّقوا رَجِماً سوف تسألُ أعينُهم ..
كُنْتَ منهَزِماً ؟
ربَّما
غيرَ أنكَ لم تَتحرَّك
أحاطتْ بكَ الخيل
نُوديَ بالوَيل
صاحتْ بكَ الصائحاتُ ولم تَتحرَّك
تكَلْتُكَ
أيُّهما أصدَقُ الآن ؟
هذي العيونُ الغريقةُ في دَمِها ؟؟
انَّها جثثٌ وحَدَّ الموتُ فيها البطولةَ والجُبنَ والصدقَ والـ
حَمْلِقي فيَّ أيَّتها الأعيُنُ المُستباحةُ حدَّ التألُّقِ

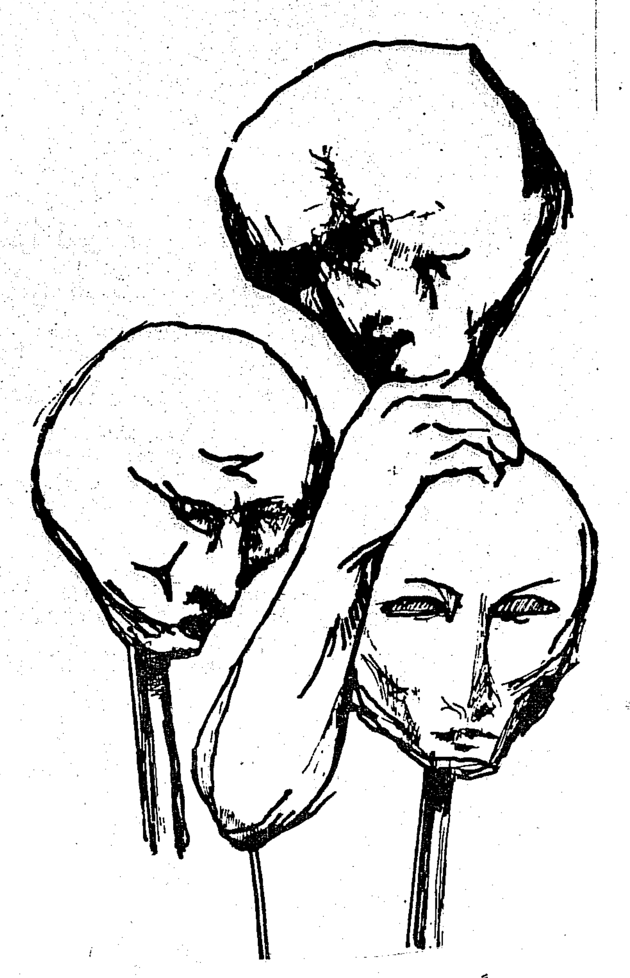
أيُّكما أصدَقُ الآن ؟
أنتِ وصمتُكِ ؟
أمْ كلُّ هذي الحوافر تضربُ أُذْنَيَّ ؟
أيُّكما أجرأ الآن ؟
مَنْ قالَ إنكِ لم تتَفَصَّد جميعُ خَلاياك مِن خوفِها ؟
تَملكينَ لساناً ؟
إذن فاسكُتي
إنّهم يَملكون

ولكنَّ موتَكِ أنبل
سمعتُ اللُّهاث
رأيتُ الى العرَق المُتَصَبِّبِ منهم يخالطهُ عَرقُ الخيل
كانوا صِغاراً
صِغاراً الى حدِّ أنّي بكيتُ لهم
فتشَرَّختُ
صارَ مداريَ شَطْرَين
بينهُما بَرزَخٌ للهزيمةِ
ثوبيَ شَطْرَيْن
أُفردْتُ بينهما عارياً
صارَ وجهيَ شَطْرَيْن

شَطْراً لَوى عُنُقي لا يبارحُ أجسادَ أمواتِكُم
وَشَطْراً تطايرَ بينَ حوافِرِكُم
أأقولُ اعرضوا خيلَكم ؟
إنّها دعوةٌ للشهادةِ تُعفَون منها
فقدْ ضاعَتْ الخيل
أو نَفَقَتْ
وأنا ؟
أنَّ لي شَطْرَ وَجْهي الذي ظلَّ عندَ الحدود
ربَّما غيَّرتْ جثثُ المَيّتين معالِمَهُ
ربَّما شاهَ
لكنَّه الآنَ وجهي

حينما عدتُ
ألفَيتُكم تُولِمون
وأبصَرتُ نِسوَتكُم في الجِوار
يُطرّزْنَ قمصانَكُم
ثمَّ يَعرضْنَها للصغار
انْكسَرتُ على زهوِهِم

وسمعتُ تَفاصيل
مثلَ الأساطير



أصغَيتُ
ألفَيتُ نفسي وحيداً
غريباً
أضَعتُ ولم ألتَفتْ
بينَ أمواتِكُم
خُرجَ ذاكرتي ..

شتى كواكبها

شَتَّى ، كــواكبُهــا نِثــارُ شتىٰ وأنتَ لهـــا مَــدارُ
شَتّى كــأنَّ وجــودَهُنّ مَعـــاً وجــودٌ مُسْتعــارُ
شتّى ، وتــأمَــلُ كــلَّ يــومٍ أن يُــوحِّـدَهــا شِعــارُ
ألا يُــرى للضَّــوءِ في مَــوشــورِ فُــرقَتِهــا انكســارُ
شتّى ، وتحسبُ كــلَّ يــومٍ أنَّ نَخْــوَتَهــا تُثــارُ
أنْ يَشْــرئِبَّ لهــا من الأضْــلاعِ مــوجَعــةً مَنــارُ
من ألفِ نصــلٍ يَستثيــرُ ، وألفِ جــرحٍ يُستثــارُ
مــا زلتَ تــأمــلُ أن يُفَضِّضَ ليــلَ محنتِهــا نهــارُ
أن تمــلأَ الأُطُــرَ الكبــارَ كمثلِهــا صــوَرٌ كبــارُ
أَلّا تَــرى كِبَــرَ الجســومِ تقــودُه هِمَمٌ صِغــارُ

* * *

شــابَتْ ذَوائِبُنــا ومــا زال الــدُّوار هــو الــدوارُ
شــابتْ ذوائِبُنــا ونحنُ بــألفِ مضطــرَبٍ نُــدارُ
شــابتْ ذوائِبُنــا وَحيــرَ بنــا لكثــرةِ مــا نَحــارُ

* * *

هـــذي الصَّـــواري المـــوقَـــراتُ بكـــلِّ مـــا شَكَتْ البحـارُ
الســائبـــاتُ فَـــلا يـــدٌ التَّـــائهـــاتُ فـــلا فنـــارُ
نَشـــرَتْ رَبـــابنُهـــا القُلـــوعَ لـــريـــحِ شَهـــوَتِهم وســـاروا
شتَّى كـــواكبُهـــا نثـــارُ شتَّى ويجمعُهـــا اضطـــرارُ
شتَّى ، وتطمـــعُ كـــلَّ يـــومٍ أن يُخـــاضَ بهـــا غِمـــارُ
أن يَنْبَـــري منهـــا مَعَـــدٌّ أو قُصيٌّ ، أو نـــزارُ
أنْ تَـــزدهي تلـــك السِّمـــات ، ويُنتَظى ذاك النِّجـــارُ
وتـــروحُ تَقـــدحُ من وَريـــدِكَ والعيـــونُ لهـــا ازورارُ
حتى إذا اشتعـــلَ الـــرمـــادُ ، ودبَّ في الجَمَـــدِ الأوارُ
وتَلَمْلَمـــوا عُصَبـــاً ، وطـــوَّقَهنّ من لهَبٍ ســـوارُ
ألفِيتَ وحـــدَك فـــوقَـــهُ حطَبـــاً ، وصِيـــحَ بهم فطـــاروا

* * *

هيهـــاتَ تَشهـــرُ سيفَهم مِن غِمـــدِهِ وبـــهِ انشطـــارُ
أن تستطيـــلَ بهم لصُنـــعِ المعجـــزاتِ وهُم قصـــارُ
ولقـــد أضَـــأتَ وأطفـــأوا ولقـــد أجَـــرْتَ ومـــا أجـــاروا
ورفعتَ بـــالـــدَمِ حينَ كـــانَ دفـــاعَ خَيْـــرِهم الفـــرارُ

* * *

مـــاذا تُـــرَجّي أنت من نُصُبٍ سيـــاسَتُهـــا تِجـــارُ
مِن مُـــدَّعين لهم الى الشُّبُهـــاتِ حـــجٌ واعتِمـــارُ
الكـــاشفين وجـــوهَهم وعلى دَخيلتِهم ستـــارُ

الوادعينَ فَخصمُهم في كلِّ أمرٍ يُستشارُ
المبدعين ، فكلُّ تَخريجٍ لهم فيه ابتكارُ
السَّابقين الى الهزيمةِ لا يُشَقُّ لهم غبارُ
اللاعنين العار ، مَحضُ حديثِهم في ذاك عارُ
العاملين بِما يَضيرُ الشَّامتين بِمنْ يُضارُ
ماذا تُرَجّي أنت مِن هِمَمٍ عزيمتُها انهيارُ
مِن كلِّ مُنخَلِعِ الفؤاد أشدُّ غضبتِه اعتذارُ
النائمين عن العدوِّ ، وعنكَ نومهمو غِرارُ
في كلِّ مؤتمَرٍ لهم بمَهَبّ ثورتِك ائتمارُ
وتَرَصَّدوك ، فكلُّ زاويةٍ لهم فيها وِجارُ
حيثُ التَفَتَّ فثَمَّ مَغرَزُ مِديةٍ ، ودَمٌ جُبارُ
حتى إذا خُوصِروا نَشَروا قميصَك ثمَّ ساروا
شتّى وأنتَ بِجَوفِ ظُلمَتِها شهابٌ مُستثارُ
غَضبانُ في فَلَكِ السَّماءِ لَهُ صعودٌ وانحدارُ
مُستَوفِزٌ ، قَلِقٌ ، مَهيضٌ لا يقرُّ لَه قرارُ
وكأنْ أُنيطَ بِهِ المَجَرَّةُ لا يُلات لها مسارُ
فارفَضَّ أطواقاً من الدَمِ حولَ شَعْفَتِها تُدارُ
حتى إذا شَطَّت أعادَ صَوابَها دَمُهُ المُمارُ

* * *

أوقِدْ فليسَ سِواكَ يُسرِجُ والظلامُ لَهُ اعتكارُ

أوقِـــدْ ، فلن يُــرجــى بغيــر يــدَيــك للكَسْــرِ انجبـــــارُ
سيُجـــاذبـــون الـــدَّربَ أطـــولَـــهُ ، وَلَلـــدَّربُ اختصـــارُ
في كـــلِّ شِعْبٍ وقفـــةٌ   وبكـــلِّ منعطفٍ حـــوارُ
وبكـــلِّ مفتـــرَقٍ لمَجمَعهم خـــلافٌ وانتشـــارُ
بينَ انتظـــارٍ وانتظـــارٍ ثَمَّ مسعىً وانتظـــارُ
سيـــلٌ من العَـــرَبـــاتِ من خمسين يسحبُهـــا قطـــارُ
يغفـــو بهـــا رُكّـــابهـــا   ويَنـــودُ فيهـــا الانتصـــارُ
لكنْ سَيعصفُ كـــلَّ يـــوم منـــكَ في الأفقِ انفجـــارُ
ستُمـــزِّقُ الآذانَ صـــرخـــةُ ثـــائـــريـــكَ فـــلا قـــرارُ
ستَـــريهمـــو قُـــربَ المَـــزارِ غـــداً وانْ شَطَّ المـــزارُ

* * *

هـــا أفْقُـــك الـــدَّامي يَشقُّ عُبـــابَ ظُلمَتـــهِ نهـــارُ
نَـــديـــان ، للـــدَمِ والمـــروءةِ في أشعَّتِـــهِ انضِفـــارُ
شَعبٌ من الـــوَثَبـــات أنت لهُنّ والغضبِ انصهـــارُ
ولأنتَ وحـــدَكَ لـــلأولى ادَّخـــروكَ نِعمَ الإدِّخـــارُ
الصّـــامـــدين لهم وكـــلّ خـــرائقِ الأرضِ استعـــارُ
غَضِبَ الـــرِّجـــالُ وأخْلَـــدوا   مَجْـــدٌ لِمَنْ غَضِبـــوا فثـــاروا
مجـــدٌ لِمنْ في كـــلِّ يـــومٍ تُسْتَفَـــزُّ لهم ذِمـــارُ
مـــا صُـــوِّبَتْ نـــارٌ الى   جبهَـــاتِهم إلّا أغـــاروا

لم يُتقِنوا لُغةً سوى أنَّ اللُّغاتِ دمٌ ونارُ
متفرِّقين ، فكلُّ أرضٍ حولَ صورتِهم إطارُ
متَشابهين بحيث تلتبسُ الوجوهُ إذا يُشارُ
مَجدٌ لهم من مُفردين وهُم بقلَّتِهم كِثارُ
مَلأوا الجِوارَ دَمَاً كأنَّهموا لوَحدِهِم الجوارُ
مجدٌ لهم فيما رَموا مجدٌ لهم فيما أثاروا
مجدٌ لهم ، ليس البطولةُ محضَ أرديةٍ تُعارُ
لكنْ هيَ الدَمُ ، والضَّحايا ، وهي يومَ الثأرِ ثارُ

* * *

المصــادرة

مصادرة منشور سري

ـــ في جَوازِكَ حينَ عبَرتَ الحدود
ـــ هلْ عبَرتُ الحدود ؟
ـــ أنتَ محْتَجَزٌ للإجابةِ لا للسؤالِ هنا .

في جوازِكَ هذا
لا علامةَ فارقةٌ فوقَ وجهِكَ
الشَّعرُ أسوَدُ
عيْنانِ صافيَتان
وعمرُكَ ..
حتى تلاوةِ هذي السطور
ثلاثون عاماً

هلْ عَبرْتَ الحدودَ بهذا الجَواز ؟
ـــ إذا كنتَ تَعني
ـــ عبَرتَ الحدودَ بهذا ؟
ـــ ... نعم
ـــ أنتَ مُتَّهَمٌ للفَرارِ بتَزويرِ وجهِكَ أجمعهِ .
يُسْمَحُ الآن أن تتكَلَّم ما شِئْتَ ،

لكنَّما في حدودِ الدفاعِ عن النفس

ــ أطلبُ مرآةً أبصرُ فيها وجهي

ــ مرفوض .

نحن نُبصرُهُ عنك

ــ لكنَّكُم لنْ ترَوا منهُ ..

ــ إنّا نُقاضيكَ وِفْقاً لأعيُنِنا نحنُ

ــ مَعذرَةً

سأحاولُ رؤيتَه وفقَ أعيُنِكم .

كان عُمَري ثلاثين عاماً

فأصبحَ خمسين

عيناي صافيتَين

فأصبَحَتا مثلَ لونِ التُّراب

وشَعريَ أسوَدَ

فابيَضّ

هل هذهِ صورتي الآن ؟؟

ــ وجَبينُكَ ؟

ــ ماذا بهِ ؟

ــ لو تَحسَّستَهُ

ـ هل تَغضّنَ ؟؟

لا بأس

ـ صوتُكَ ..

ما كُنْتَ ترفعُه هكذا

ـ كان يرفعُه بين قَصفِ المَدافعِ فاعتادَ

ـ لا .

لم نَكُنْ نتكَلّمُ في حَضرةِ النّار

لكنّنا بعدما سَكتَتْ ..

ـ أنتَ متَّهَمُ باعترافِكَ للمرةِ الثانيه

ـ بالتَّمرُّدِ ؟

لا بأس

أسألُكُم لَحظةً أخلعُ الثَّوب

ـ تُمنَعُ كلُّ ضروبِ التَّعَرّي هنا .

ـ إنَّ لي حُرمَةً تحتَ هذا القميصِ المُمَزَّق

شاهداً لم يُسجَّلْ بهذا الجواز

دفعتُ به رئتيّ ثمَناً

وأَتَتْنا أوامرُكم تَمنعون دخولَ الجراحْ

قيلَ يُسْتَنطَقُ الجرحُ حتى يَعافَ مروءتَهُ

ثمَّ يُركَلُ مثلَ النِّفايةِ بعدَ إدانتِهِ

لوحةٌ جانبيّه

هل سلَّمْتَ لمأمورِ المخزَنِ خوذَتَكَ الحَربيَّةَ ؟
صَفَّ رصاصِكَ ؟ قمصانَكَ ؟ جرحَكْ ؟؟
ضَعْ جرحَكَ فوق الأمتعةِ الأخرى
وتَسلَّمْ إيصالًا .

تعمَّدتُ تهريبَهُ تحتَ ثوبي

ما كانَ لي أن تَرَوهُ فيؤخَذَ متَّهَماً
غيرَ أنّي سأكشفُ عن وجههِ الآن
ها هوَ ذا

تستطيعونَ إيداعهُ السِّجن
لستُ أخافُ عليه
فقد رسَمَ ابني هويّتَهُ في دفاترِهِ كلِّها

فأنا الآنَ متهَمٌ بشهادةِ جرحيَ
للمرةِ الثالثة

في أذُنيَّ ملايينُ الأصوات
مَنْ منكُم يقدرُ أن يَفرزَ صرخةَ محمودٍ جاري
عن صَلْيَةِ عَشرِ رصاصاتٍ غاصَتْ فيهِ من البلعوم
الى منتصَفِ السُّرَّه ؟

وَحدي أملكُ هذين الصَّوتين معاً
أملكُ لحظةَ لا يبقى من صوتِ القاتلِ
إلّا صوتُ المقتول
لحظةَ صارَ غيابُكَ يا محمودُ حضوراً في كلِّ الساحات
وفي كلِّ الأوجُه
وحدي أملكُ صوتَكما أنت وعَشرِ رصاصاتٍ في أذُنيَّ
مَزيجاً .. غَبَشاً لا ينفصلُ الفجرُ عن الليلِ ولا الموتُ
عن الميلادِ ولا الثورةُ في جسَدٍ عن عشرِ رصاصاتٍ فيهِ
يُشَعشِعُ منها الدَّمْ

مَنْ يحملُ عني هذي الأصواتْ ؟
مَنْ يخلعُ من أُذنيَّ زعيقَ الجَرحى وصفيرَ الرشاشات ؟
ألقُوا القبضَ على هذا الشاهدِ غيرِ المَرئيِّ إذن
وليُستَنطَقْ أطفالُكَ يا وطني

وَلدي
يا ولدي الحاملَ عنّي زهوَ دفاترِهِ
كنتُ أدفعُ دبابتي في وجوهِ التماسيح
مَلغومةً بالهلاهِلِ
ملغومةً بالأهازيجِ
بالشِعرِ

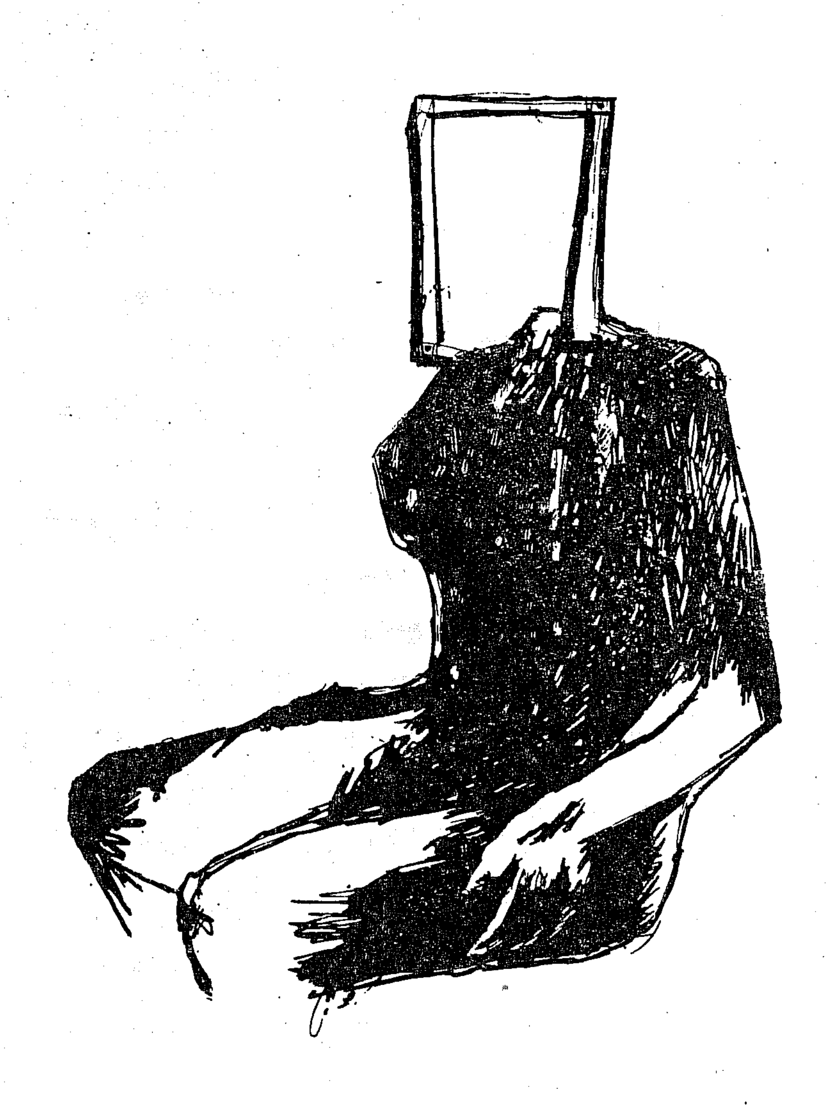
ملغومةً بالتي طوَّحَتْ بعباءَتِها وهي تَرْدسُ
« هزّيت ولوليت لهذا »

كنتُ « هذا » الذي زاحمَتْ فيه كلَّ الشَّماتةِ والموت
أدفعُ دبابتي في الجحيم
وفي أُذُنيَّ عَراضةُ أمِّي تَطوّحُ عبرَ المَدى
بعباءَتِها

حجمَ موتيَ هذا أريدُكِ أن تَهزجي لي
أنْ تزرَعي رايةً حجمَ موتي على سطحِ بيتكِ
ترفعُ للموتِ قامتَها

سجِّلوا أُذُنيَّ شهوداً عليّ

أين دبَّابتي ؟
ــ لا سؤال .
ــ ذَهَبتْ هيَ أيضاً تدافعُ عن نفسِها ؟
ــ لا سؤال .
ــ ولكنَّها شاهدٌ في دفاعي
ــ قيدَ التَّرميم
إذا شئتَ أتَيناكَ بها عامرةً
ــ هاتُوها



أدخِلوها هنا أتأمّلُها
أتقرّى مكانَ أُصيبَتْ لأجلي
أُمرّغُ وجهي على درعِها
وسَأسألهُ
سوفَ ينطقُ مَجرى دمي فوق قُبَّعهِ الدِّرع
ينهضُ محمود من قاعِها
إنَّ محمود فاضَ على سَعةِ القاعِ فيها

أنتِ أيَّتُها الأختُ
يا شاهدي وشريكي
أعلمُ حينَ تَجيئين
أنكِ لا تُنكرينَ مَعالِمَ وجهي
كما يفعلُ الما رأوا كيف يتسعُ الكونُ في لحظةٍ
ثمَّ يجمعُ أطرافَهُ كلَّها في رصاصَه
ما رأوا كيف تُلغي الوجوهُ مَعالِمَها لحظةَ الموت
يلتبسُ الوجهُ بالوجهِ
حتى لَتُصبحَ دبابةٌ رجُلًا

ما رأوا كَم يُغيّرُنا الموتُ أيَّتُها الأخت
لكنَّهم غيَّروا وجهةَ الموت
هم غيَّروا وجهةَ الموت

حتى-لَينكرَ واحدُنا دربَ صاحبهِ

أيَّ شيءٍ ترانا نقول إذا ما التقَينا
فأبصرتِ شَعْري قد ابيضَّ
عينَيَّ لونَ التراب
وأبصرتُ وجهَكِ يلمعُ مثلَ بناتِ الهوى ؟

أيّ ذاكرةٍ سوف نوقظُها بينَنا
دون أن تتسلَّقَ غُربَتُنا فوق كلِّ الحروف
وتَلّتفّ حدَّ اختناقِ أعزِّ الحكايات ؟

أرفضُها .
تُزَوِّرون شاهدي علَيّ
ثمَّ تسألونَني أن أرتضيهِ هكذا
مُزَوَّراً
وتَعلمون بعد أن أدخلتمُوها مصنعَ النِّسيان
أنَّكم سلَبتمُوها كلَّ كبريائها
أُقسمُ أنَّها إذا رأتنيَ الآن
أشاحَتْ خجلًا بوجهِها
أو أطلقَتْ نيرانَها علَيّ

ــ فأنتَ أسَأتَ لها
ــ قد فعَلتُ

عبَرتُ بها كلَّ نارِ الجحيم
وكنّا معاً باسمِ كلِّ الحضاراتِ نَضربُ
كنّا معاً باسمِ كلِّ الذين سيأتونْ
نعبرُ نهرَ الجراحِ القديمةِ
نصنعُ معجزةً قَدْرَ ما يستطيعُ عَريفٌ ودبابةٌ
أتْقَنا لُعبةَ الموت
ويومَ أُصيبَتْ
دفعتُ لها رئتي
مدَّ محمود من صدرِهِ مَعبَراً للرصاصِ على درعِها
إنَّها تَتذكّر كيف قضَينا نهاراً بأكمَلِهِ ننزفُ الدَمَ
نحنُ الثلاثة
كنّا ثلاثَتنا لحظة الموت
نشعرُ انّا نخُطُّ لبعضِ الذين سَيأتون
أسماءهم

باسمِ كلِّ الحضارات
أُلغيَ محمود
لم يَبقَ منه سوى دفترٍ
يَتدافعُ أطفالُهُ كلَّ شهرٍ بأبوابِكُم
بصَموا فوقَه عدَّ أرغفةِ الخبز

حتى مَلامحُهم وُشِمَتْ بتواقيعِكُم

باسمِ كلِّ الحضاراتِ أُفرِغُ صدريَ من رئةٍ
وأُقِرُّ بلا ندمٍ أنّني لستُ احتاجُها الآن
في مثلِ هذا الهواء

باسمِ كلِّ الحضاراتِ رمَّمْتُم الآنَ دبابتي
بعد سحبِ هويَّتِها
فهيَ خاويةٌ تستعدُّ لكلِّ الهَزائم

لستُ أعلمُ أيَّتها الأختُ إن كنتِ .. عذراً
ولو مرَّةً
تُحسنينَ البكاء

وتقولون لي شَعرُكَ ابيَضُّ
أتّهمُ الآنَ مائةَ مليون مُستمِعٍ لخطاباتِكم
أنَّ أروُسَهم لم تَشِبْ
أنَّ أعيُنَهم لم تَثِبْ من محاجرِها
أيُّها السادةُ الكانَ في وسْعِهم كلُّ شيءٍ
لو انَّ صَواريخَهم لم تقفْ في مدار الخيانةِ

أو أنَّهم ..

ــ هل سمَّيتَ مداراً للدولة ؟

ــ لا

ــ إيّاكَ وأَنصافَ الكَلماتِ إذن

ــ مَنْ مِنّا يتعمَّدُ أن يُخطْىء فهمَ الآخرْ؟

ــ لا سؤال

وليَكُنْ ما تَفوهُ بهِ واضحاً

في حدودِ الدفاعِ عن النفس .

سنُصَحِحُ بعضَ السَهْوِ الواردِ في أقوالِك

ــ أرفض .

انَّهما مساحتانِ للضياءِ والظُّلمةِ لن نَدخلَ

فيهما معاً

أنا أعرفُ دَربي الى البُقعةِ السَّوف أدخلها

لن تكونوا دليلي

أتَرونَ ، لو انكمُ الآنَ تدعونَني مِن جديدٍ

الى الحرب

أرفض ؟؟

هيهات

سأحاربُ حتى أقايضَكم كلَّ هذي الملامح

يَهتفُ بي هاتفُ :

لا تَمُتْ

وأموت

أُفَضّضُ أرؤسَكم شَعرةً شعرةً

كنت أحملُ محمود ، والدمُ ينهَلُّ من عَشرِ شتلاتِ نارٍ بأضلعِهِ

أتوسَّلُ في وجهِهِ

لا تمُتْ

سوف تَسألُني عنكَ كلُّ عيونِ صغارِكَ محمود ..

لكنَّه ماتَ في لحظةٍ

كنتُ أخلعُ جسمي وأسحبُ محمود

والنارُ تأكلُ دبابتي

أتخبَّطُ مستوحَداً بين مَوتَيْهِما

غيرَ أنيَ كابَرتُ

كنّا ثلاثَتنا طَرَفَ الدولةِ الما يزالُ يُكابر

في المستشفى

قالوا ألغى الطرَفُ الآخرُ للدولةِ كلّ القَتلى

ومَحا أسماءَ الآتينَ جميعاً

لم أصدّقْ

لقد كنتُ أحسَبُنا دولةً حينَ كنّا نخطُّ على

بُقعةِ الضوءِ أسماءهم
ثمَّ صدَّقْتُ ..
حين نظرتُ لأطفالِ محمود
صدَّقتُ
حين رأيتُ عيونَ رفاقيَ
صدَّقت
وحينَ وصفْتُم معالِمَ وجهيَ
آمَنْتُ
أنّي هنا طرَفٌ
أنّنا حينَ كنّا هناكَ نقاتِلُهم
طرَفٌ
أنَّ أطفالَ محمود
دفترَهُ
طَرفٌ
فأنا سمَّيتُ مَداراً للدولةِ
لم أُخْطيءْ فَهمَ الطرَفِ الآخرِ للدوله .
انَّهما مساحتان للضياءِ والظُلمةِ لن ندخل فيهما
معاً

ـــ من أجلِكَ أيضاً ..
ـــ أرفضُ

أو .. لا أرفضُ
ماذا يَعني أن أُسألَ عن هذا ؟
لو سُئلتُ غداةَ خرجتُ الى الموت
ــ هل كنتَ تختار ؟
ــ لا
كنتُ أختاركُم هدَفي أوّلًا
ــ أنتَ تقتلُ نفسَكَ
إنّي أُسَهِّلُ فيَّ مهمَّتَكم
أيُّها السادةُ التتبَدَّلُ حتى عَناوينُ أطفالِهم
وحدودُ مَدارس أطفالِهم
دونَ أن تتبدَّلَ يوماً ملامحُهم

أنّني أتساءلُ
ما كانَ لي وأنا بينَ موتَيْن
موتٍ تُراقبُني فيه أعيُنُ كلِّ الذينَ أخافُ عليهم
شَماتةَ مَنْ يشمتُون
وموتٍ أُضافُ بهِ رَقمَاً في حساباتِكُم للهزيمة ؟
كنتُ أرقَبُكُم تخلطُون دَمي بين ماءيْن
هذا نَذرتُ له عَطشُ العمر
جَمَعتُ أسماءَ أهلي على شفَتَيّ
وهذا أحاذرُهُ

وأشمُّ الخيانة
رائحةَ ابني ذبيحاً
وأوصالَ أهلي مُموَّهةً فيه

صار دَمِي خائناً وشهيدْ
كوثَراً وصديد
وأنا أتساءَلُ :
هل أرِدُ الماء
أمْ أتجَنّبهُ ؟

حيرةٌ .. حيرةٌ .. حيرةُ العمر
باسمِ الحضارة قدّمتُموني لمَذبَحِها

إنّكم أيُّها السادة الما تَبَدَّلُ يوماً ملامِحُهم
قدْ بذلْتُم كثيراً لأجلِ الحضارةِ
أسماؤكُم لنْ يَمرّ عليها الذينَ سيأتون
دونَ الوقوفِ على كلِّ أحرُفِها
يومَها ،
سيسيرُ بدبابتي كلُّ تأريخِها نحوَكم
يومَها ستدورُ بمدفعِها حولها دورةً كامله
قبل أن تدخلَ المَعبرَ السَّهلَ خلفَ الحدودْ

ستكونُ البدايةُ أفضلَ مِمَّا بدأنا
تكونُ البدايةُ أفضلَ مِمَّا ..

ـ نصُّ قرارِ التَّجريم
ـ تكونُ البدايةُ ..
ـ باسمِ الدوله
صادرْنا هذا المنشورَ السّريّ
وأمْرنا بأحالةِ أذنيهِ وهذا الجرحِ المَزعوم الى التَّحقيقِ
وإلقاءِ القبضِ على كلِّ الكلماتِ وكلِّ الأفكارِ المنقولةِ عنهُ
وَغيرِ المنقوله .
....
....
ـ سيِّدي
إنَّ في البابِ عشرين ألفاً
وجوهُهمو كلُّها وجهُ هذا !

الغيمة الحبشية

ألقيت في مهرجان بوشكين في لينينغراد
بمناسبة مرور ٧٥ سنة على ميلاده

عرب بطرس الكبير

مثلما يهبطُ الغَبَشُ المُتَكبِرُ
حيثُ البداياتُ مبهَمةٌ
الضُّحى لا ضُحى
والدُّجى لا دُجى
والبراءةُ سيّدةٌ

مثلما يَنْحَني كوكبٌ في السماء
فيَحكمها لصْقَ دورَتهِ
ثمَّ ينفضُها نابتاً في المجَاهيل
تبقى المسافاتُ مهمَلةً بَعدهُ

كان قوسُكَ يَنهضُ مِن بين غاباتِ أفريقيا
من حرائقِ أفريقيا
ثمَّ يُكْملُ دورَتَهُ
يزرعُ الطرَفَ الآخرَ المتوَتِّرَ في ثلجِ روسيا

ابراهيم هانيبال
أيُّها المَعْبَرُ الأبنوسيُّ بين الهَواجسِ والصَّوت
بين النُّبـــــوءَةِ والموت
قوسُكَ مفتوحةٌ
يتوسَّطُها قدَرٌ أنتَ تَجهَلُهُ
سوفَ يَنبتُ حتى نهاياتِ روسيا
زنابقَ سوداء
في كلِّ فجْرٍ تميلُ فينسَكِبُ الضوءُ منها
وفي كلِّ ليل تميل فينْسَكِبُ الدَمُ منها
وتَعْلَقُ من كلِّ كأسٍ بأجنحةِ الريحِ أغنيةٌ

إبراهيم هانيبال
إسحَب الوَتَر الآنْ
تَلتقي قارتان
ويَشتَبكُ الضوءُ بالليل
والنارُ بالسَّيل
والمُبتَدا
بالنهاياتِ أجمعِها
انَّ غيمتَكَ الحبشيَّةَ تبدأُ أمطارَها ..

بطاقة حب شخصية

لو كانَ لكلِّ الفرسانِ القوزاقْ
أنْ ينطَلِقُوا ثانيةً في منتصفِ الليلْ
تحتَ سماء الدَّون الفضِّيّه
لَرأيتَ لكلِّ عذارىٰ الدون شبابيكاً مفتوحه
تَترقرقُ مِن كلٍّ منها
أغنيّةُ حبٍّ عشتَ لها
تكتبُها في وسَطِ الأحزانْ

بوشكين
يا لؤلؤةَ الرّوسِ السوداءْ
يا أغنيةَ الحبِّ الأولى
يا أغنيةَ الغضبِ الأولى
ملعونٌ صوتي إنْ لم يَبْلُغْكَ الى مَخبأِ جرحكْ
مسكينٌ فرَحي إن لم تَستقبلْه بنفسِكَ عند المَدخلْ
الزمنُ الكنتَ تَتوقُ أليه أتى
ورفاقُكَ من أطرافِ الأرضِ يُعيدونَ إليكَ سيوفُكْ

الخطوة المستحيلة

إبراهيم هانيبال
أشعِلْ النارَ في كلِّ غاباتِ أفريقيا
دعْ طبولَ الفجيعةِ تُقرعُ في صمتِ أفريقيا
وأقِمْ بطرسَ الأكبرَ الآنَ من نَومِهِ
فحفيدُكَ يخطو الى الموتِ خطوتَهُ الخامسه

بوشكين
إنَّ دانتيس لنْ يقطعَ الخطوةَ المستحيله
أنتَ وحدَكَ تَعبرُها
أيُّها الوهَجُ الأسوَدُ المُتَدَفِّقُ بالحُبّ
يا زهوَ روسيا وفجرَ ينابيعِها
سوفَ تعبرُها أنتَ وحدَك

كلُّ هذي الثلوج ستبقى مخضَّبةً بدمائِك
كلُّ هذا الهواءِ سيحملُ، ما هبَّ، صرختَكَ المتكبِّرَة الفاجعه
بينما قوسُكَ المُتَكسِّرُ من نِصْفِهِ

ينحني في جلالٍ على الثلج
يتركُ كلَّ المسافاتِ مهمَلةً بعدَهُ

بوشكين
إنهَض الآن
واعبُرْ الى الموتِ خطوتَكَ الخامسه
قُلْ لدانتيس يقطعُها أربعاً
أو ثلاثاً
ويُطلقْ
كلُّ روسيا ستنهضُ سَدّاً بوجهِ الرَّصاصه !

فهرست المجلد الأول

الفهرست

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٤٨) لسنة ٢٠٠٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة